

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت
المحلية الثانية ، ١٩٨١ - ١٤٠٠ هـ

الرسالة الثامنة
في التاريخ

العلاقات بين
دولة المماليك
ودولة مغول القفقاس
في الفترة ما بين
٦٥٨ - ٧٤١ هـ / ١٢٦٠ - ١٣٤١ م

د. حياة ناصر المحبجي
قسم التاريخ - جامعة الكويت

صدر من هذه الحولية الحولية الاولى

الرسالة الاولى (في الفلسفة)

د . فؤاد زكريا
قسم الفلسفة

الجزور الفلسفية للبنائية

الرسالة الثانية (في التاريخ)

د . محمد صالحية
قسم التاريخ

صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا

الرسالة الثالثة (في الأدب)

د . سهام الفريخ
قسم اللغة العربية

ابن قلافس (حياته وشعره)

الرسالة الرابعة (في التاريخ)

د . حياة الحجي
قسم التاريخ

الامير تنكيز الحسامي

الرسالة الخامسة (في الاجتماع)

د . خلدون النقيب
قسم الاجتماع

دراسة أولية في النظام الطبقي في المجتمعات العربية

الحولية الثانية

الرسالة السادسة (في الأدب)

د . عبده بدوي
قسم اللغة العربية

علي أحمد باكثير شاعراً غنائياً

الرسالة السابعة (في اللغة)

د . نايف خرما
قسم اللغة الانجليزية

تحليل أخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتنكير الانجليزية

قواعد النشر في حواريات كلية الآداب

- ١ - تنشر الحواريات البحوث والدراسات الأصلية لأعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب بجامعة الكويت أو من سبق لهم العمل بها أو من توافق هيئة التحرير على قبول بحوثهم في جميع حقول العلوم الانسانية والاجتماعية .
- ٢ - تقبل الابحاث باللغتين العربية والانجليزية على أن لا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة من الحجم المادي (١٨٠٠٠) كلمة ، وذلك عدا الحواشي والمراجع .
- ٣ - ينبغي أن تراعى البحوث ما يلي :
 - ١ - اعتماد الأصول العلمية في اعداد وكتابة البحث من توثيق وهوامش
 - ب - الا يكون البحث سبق نشره .
 - ج - يستهل البحث بموجز في حدود ٢٠٠ كلمة بلفة البحث .
 - د - أن تزود الحواريات بثلاث نسخ من البحث ، وترفق به خلاصة في حدود صفحة واحدة باللغة الانجليزية ان كان بالعربية ، وباللغة العربية ان كان بالانجليزية .
 - هـ - أن يتضمن غلاف البحث اسم المؤلف واسم المعهد العلمي الذي ينتمي اليه ، ويكتب في صفحة مفصلة المزيد من المعلومات عن المؤلف وبخاصة القسم الذي يعمل فيه ، وعنوانه الكامل .
- ٤ - توجه الأبحاث الى : رئيس تحرير حواريات كلية الآداب - جامعة الكويت ص.ب : ٢٦٥٨٥ ، الصفاة .
- ٥ - يتم عرض الأبحاث - على نحو سري - على محكم (أو أكثر) من المختصين الذين تختارهم هيئة التحرير ، ويحسن أن يكون المحكمون خارجيين ، فان اختلف الرأي في التحكيم عرض البحث على محكم ثالث ان رأت ادارة التحرير ضرورة لذلك .
- ٦ - يبلغ رئيس التحرير اصحاب الأبحاث عن استلام المجلة أبحاثهم خلال اسبوع من تاريخ الاستلام ، على أن يتبلغوا بالقرار حول صلاحية البحث للنشر او عدمه خلال مدة لا تتجاوز الشهر .
- ٧ - يقوم رئيس التحرير بتبليغ اصحاب الأبحاث بالرأي النهائي للمحكمين بخصوص تلك الدراسات ، وذلك ضمن الترتيبات التالية :
 - ١ - يبلغ اصحاب الأبحاث التي تقبل للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها ، وبموعد النشر .
 - ب - الأبحاث التي يرى المحكمون وجوب اجراء بعض التعديلات او الاضافات عليها قبل نشرها ، تعاد الى اصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على اعدادها نهائيا للنشر .
 - ج - الأبحاث المرفوضة تعاد الى اصحابها دون ابداء أسباب الرفض .
 - د - يمنع كل باحث خمسين مستلا من بحثه المنشور .
- ٨ - يجوز اعادة نشر البحوث الصادرة عن الحواريات على أن يشار الى الحواريات باعتبارها مصدر النشر الأصلي .

المحتوى

٩	ملخص
	العلاقة بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق
١٠	٦٥٨ - ٧٤١ هـ ، ١٢٦٠ - ١٣٤١ م
	التحالف بين سلطنة المماليك ودولة القفجاق
١١	في عهد بيبرس
	علاقة مغول القفجاق بسلطنة المماليك بعد
١٤	بيبرس
٢٠	الناصر محمد بن قلاوون ومغول القفجاق
٤٥	الهوامش
٤٨	قائمة الاختصارات
٥٠	المصادر والمراجع

ملخص

اتجهت الدراسات التاريخية التي عالجت تاريخ دولة سلاطين المماليك في مصر والشام الى تتبع العلاقات بين مغول فارس والعراق من ناحية والمماليك من ناحية أخرى . وفي هذا البحث حاولت الباحثة دراسة العلاقات بين سلاطين المماليك وكتلة أخرى من المغول هم مغول القفجاق أو القبيلة الذهبية Golden Horde الذين استقروا شمالي البحر الاسود وشرقيه . وقد أوضحت الباحثة ان اعتناق هذا الفرع من المغول للديانة الاسلامية أوقعهم في عداء شديد مع مغول فارس والعراق، الامر الذي ترتب عليه نوع من التقارب والتحالف بين سلطنة المماليك ، مصر والشام ومغول القفجاق ضد عدو مشترك ممثلا في مغول فارس .

وقد تتبعت الباحثة في هذا البحث الروابط المتعددة بين دولتي مغول القفجاق وسلاطين المماليك ، وهي روابط اتخذت شكل مصاهرات وتبادل بعثات دبلوماسية وعقد اتفاقيات بين الطرفين . وكانت الفترة النشطة لهذه العلاقات في عهود السلطان الظاهر بيبرس ثم سلاطين أسرة قلاون وخاصة السلطان الناصر محمد بن قلاون . واعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على الحوليات والمصادر المعاصرة ، مما ألقى أضواء على تاريخ منطقة الشرق الاوسط بين منتصف القرن الثالث عشر ومنتصف القرن الرابع عشر للميلاد .

العلاقة بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق

٦٥٨ - ٧٤١ هـ

١٢٦٠ - ١٣٤١ م

«كان للتتر دولتان مستفحلتان ، إحداهما دولة بني هولاکو آخذ بغداد والمستولي على كرسي الإسلام بالعراق ، وأصارها هو وبنوه كرسيًا لهم ، ولهم مع ذلك عراق العجم ، وفارس وخراسان ، وما وراء النهر ، ودولة بني دوش خان بن جنکيز خان بالشمال متصلة إلى خوارزم بالشرق إلى القرم ، وحدود القسطنطينية بالجنوب وإلى أرض بلغار بالمغرب» (ابن خلدون، مج ٥، ق ٤، ١٩٦٥ : ٩٢٤ - ٩٢٥).

كان للمغول دولتان عظيمتان هما : دولة بني هولاکو ، وتشمل بلاد العراق ، وفارس ، وخراسان ، وما وراء النهر ، ودولة بني جوجي بن جنکيز خان في الشمال ، وتعرف باسم بلاد القفجاق التي ظلت مملكة بدوية ، يعيش أهلها على الرعي في المناطق السهلية . وكان ملكهم هو خان القبيلة الذهبية التي امتد سلطانها على المناطق الواقعة جنوب روسيا .

ويصف ابن خلدون الوضع السياسي لهاتين الدولتين ، فيقول :

التحالف بين سلطنة المماليك ودولة القفجاق في عهد بيبرس

١٢٦٣ م:

« وقد تمت رسل الملك بركة تطلب النجدة على هولاءكو - وهم الأمير جلال الدين ابن القاضي ، والشيخ نور الدين علي في عدة - ويخبرون بإسلامه وإسلام قومه ، وعلى يدهم كتاب مؤرخ بأول رجب سنة إحدى وستين وستائة. » (المقريزي جزء ١٩٣٩١ - ١٩٧١ ، ٤٦٥ ، ٤٩٥) ويبدو أن الظاهر بيبرس سر كثيرا بخبر إسلام بركة خان ، اذ يقول المقريزي :

« وفي يوم الجمعة ثامن عشر من شعبان (٦٦١ هـ) خطب الخليفة الحاكم بأمر الله ، بحضور رسل الملك بركة ، ودعا للسلطان ، وللملك بركة في الخطبة ، وصلى بالناس صلاة الجمعة ، واجتمع بالسلطان ، وبالرسل ، في مهات امور الاسلام » (المقريزي ، جزء ١ : ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٤٩٥) .

ثم يستطرد المقريزي في كلامه عن رسل دولة القفجاق فيقول : إنه حدث في شهر رمضان من نفس السنة أن :

« حضر رسل الملك بركة إلى قلعة الجبل ، وألبسهم الخليفة بتفويض الوكالة للاتابك ، وحمل اليهم من الملابس ما يليق بمثلهم .

ولعل مما يلفت النظر في تاريخ دولة مغول القفجاق بعد اعتناق ملوكها الإسلام هو حرص هؤلاء الملوك على توطيد علاقاتهم مع سلطنة المماليك ، مع الرغبة الشديدة في توثيق عرى المودة والصداقة مع حكامها .

وقد كان بركة خان أول من اعتنق الإسلام من ملوك دولة مغول القفجاق (المقريزي ، جزء ١ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٤٦٥ - ٤٩٥) وكان لإسلامه من غير شك أثر كبير في ذلك التقارب الذي حدث بين سلطنة المماليك ودولة مغول القفجاق أو القبيلة الذهبية .

وفي متابعتنا لتسلسل ارتقاء ابنائهم عرش المملكة ، نجد أنه عندما توفي بركة خان هذا ، سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م خلفه منكوتمر الذي امتد حكمه حتى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م ، ثم تولى الحكم بعده أخوه تدان منكوتمر تنامنكو الذي استمر يحكم دولة القفجاق حتى سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م . (المقريزي جزء ١ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٥٦١ ، ٧٠٨ هامش ٢) .

وعلى كل حال ، فقد ربطت العلاقات الطيبة بين الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م) ، وبركة خان ، حيث يقول المقريزي ضمن حوادث سنة ٦٦١ هـ /

وجهاز السلطان هدية جلييلة للملك بركة ،
وكتب جواب كتابه في قطع النصف، في سبعين
ورقة بغدادية، بخط محي الدين بن عبد
الظاهر ، وهو الذي قرأه على السلطان
بحضور الامراء . وسلمت الهدية للامير
فارس الدين اقوش السعودي ، والشريف
عماد الدين الهاشمي ، فسار في طريدة بحرية
فيها عدة رماة ، وجرحية ، وزراقين ،
وأشحت بالازودة لمدة سنة ، وسارا في سابع
عشرة . وخرجت النجابة الى مكة والمدينة بأن
يدعى للملك بركة ويعتمره وأمر الخطباء ان
يدعوا له على المنابر بمكة ، والمدينة ،
والقدس ، وبمصر ، والقاهرة ، بعد الدعاء
للسلطان الملك الظاهر » . (المقريري ،
جزء ١ : ١٩٣٩ - ١٩٧١ ، ٤٩٧ - ٤٩٨)

ومن ثم توطدت العلاقات بين دولة
المماليك ودولة القفجاق ، في عهد كل من
العاقلين : الظاهر بيبرس ، وبركة خان . وأخذ
يتبادلان الرسائل ، ويعتآن بالرسائل فيما بينهما
من أجل توثيق الروابط الودية ، وتأكيد
التعاون بينهما ، ضد مغول فارس .
(المقريري ، جزء ١ : ١٩٣٩ - ١٩٧١ :
٥٠١ ، ٥١١ ، ٥١٤ ، ٥١٩ ، ٥٣٥ ،
٥٣٨) .

وقد استمرت تلك الروابط الوثيقة بين
البلاطين المملوكي والقفجاق حتى وفاة بركة
خان سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ، ومن ثم تولى
الحكم بعده منكوتمر حيث يقول المقريري :

« وفيها (٦٦٥ هـ) جلس منكوتمر بن
طغان باتوقان بن دوشي خان بن جنكيز خان
على كرسي مملكة القفجاق بمدينة صراي ،
عوضا عن الملك بركة خان بن دوشي خان بن
جنكيز خان ، بعد وفاته هذه السنة . وكان
بركة خان قد مال الى دين الإسلام ، وهو
أعظم ملوك الططر ، وكرسي مملكته مدينة
صراي » (المقريري ، جزء ١ ، ١٩٣٩ -
١٩٧١ : ٥٦١) .

ويظهر ان الظاهر بيبرس كان حريصا على
استمرار الروابط الوثيقة التي تربطه بدولة
مغول القفجاق ، فكتب الى الملك منكوتمر
الذي خلف الملك بركة معزيا اياه بوفاته
سلفه . (المقريري ، جزء ١ ، ١٩٣٩ -
١٩٧١ : ٥٦٣) .

وليس هناك من دليل أكثر وضوحا على مدى
ما وصلت اليه العلاقات المملوكية - القفجاقية
من تقارب ومودة في هذا العهد مما يذكره
المقريري من زواج الظاهر بيبرس من ابنة
حسام الدين بركة خان بن دولة خان التري
(المقريري ، جزء ١ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ :
٦٤٠) .

على أية حال استمرت الروابط الوثيقة بعد
ذلك بين الدولتين في عهد الملك القفجاقى
منكوتمر (المقريري ، جزء ١ ، ١٩٣٩ -
١٩٧١ : ٥٩٠ ، ٧٠٨) . وقد ظل منكوتمر
هذا يحكم دولة مغول القفجاق حتى سنة

٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، يقول المقرئزي :

« ومات أيضاً منكوتمر بن طوغان بن باطو
بن دوشي خان بن جنكيز خان ، ملك التتر

ببلاد الشمال . وملك بعده اخوه تدان
منكو ، وجلس على كرسي الملك بمدينة
صراي » (المقرئزي ، جزء ١ ، ١٩٣٩ -
١٩٧١ : ٧١١) .

علاقة مغول القفجاق بسلطنة المماليك بعد بيسرى

الركب بما يحتاجون اليه ، ولما حضروا كتب
الاجوبة على ايديهم وأحسن اليهم غاية
الاحسان ، وسفرهم فيما بعد ذلك على اتم
حال وأحسنه . (ابن عبد الظاهر ،
١٩٦١ : ٤٦)

ويؤكد المقرئزي قدوم هذه السفارة
القفجاقية الى البلاط المملوكي فيقول :

« وفيها (٦٨٢ هـ) وصلت رسل تدان
منكو بن طوغان بن باطو بن دوشي بن جنكز
خان ملك القفجاق ، بكتاب خطه بالقلم
المغلى : يتضمن أنه أسلم ، ويريد أن ينعت
نعتا من نعت أهل الإسلام ، ويجهز له علم
خليفتي ، وعلم سلطاني يقاتل بها أعداء
الدين ، فجهزت الرسل الى الحجاز ، ثم
عادوا وساروا الى بلادهم بما سألوا فيه »
(المقرئزي ، جزء ١ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ :
٧١٦) .

وهكذا استمرت العلاقات الودية قائمة
بين الدولتين . ونجد ان من أهم اسباب دعم
هذه الروابط الوثيقة عاملين : الأول اعتناق
ملوك مغول القفجاق الإسلام ، وتفانيهم في
تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، والتقرب
من خليفة المسلمين في مصر ، أما العامل

ويبدو أنه رغم تغير حكام دولة مغول
القفجاق وسلطنة المماليك ، فان ذلك لم يغير
من رغبة كل من يتولى الحكم في اي من
البلدين ، في ترسيخ العلاقات مع الدولة
الأخرى ، حسب المنهج الذي درج عليه
الاسلاف ، ويشير ابن عبد الظاهر الى قدوم
سفارة قفجاقية سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م . إلى
المنصور قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ . / ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م) ، تنقل اليه عزم
الملك الجديد تدان منكو اوتنامنكو على توطيد
العلاقات مع سلطنة المماليك ، وتسأل مباركة
خليفة المسلمين لجهود تانمنكو في محاربة اعداء
الإسلام ، او بعبارة أدق مغول فارس :

« وفي جمادي الآخرة ، وصلت رسل
قفجاق فقهاء ، احدهم الفقيه مجد الدين أطا ،
ورفقتة : نور الدين ، ورفيق آخر . وأحضروا
من أيديهم كتابا بالمغلى من تانمنكو مضمونه
انه أسلم ، وقعد على التخت وأقام شرائع
الإسلام ، وقال هؤلاء الفقهاء : انه سيرنا
نطلب له من مولانا السلطان نعتا يسمى به من
اسماء المسلمين ، وعلمنا من الخليفة ، وعلمنا
من السلطان ونقارات ، ليركب بذلك ويقابل
اعداء الدين . وعرض في الكتاب بالوصية
بهؤلاء الفقهاء ، وانهم يحجون . فاهتم مولانا
السلطان بأمرهم ، وجهزهم الى مكة صحبة

الثاني فيتعلق برغبة كل من الدولتين في القضاء على بيت هولاكو حكام مغول فارس .

ومن جانب آخر كان العداء مستفحلا بين بيت بركة حكام دولة مغول القفجاق وبيت هولاكو حكام مغول فارس ، وفي نفس الوقت كان بيت هولاكو يطمع في السيطرة على الشام ، ومصر ، بعد أن تم له الاستيلاء على العراق . وقد أدت هذه الظروف الى تفاقم مشاعر العداء بين مغول فارس وسلطنة المماليك ، الأمر الذي أدى من ناحية أخرى إلى تقارب سلاطين المماليك وملوك دولة مغول القفجاق . ويناقد ابن خلدون هذا الوضع السياسي المتأزم بقوله :

«وكان بين الدولتين فتن ، وحروب ، كما تحدث بين الدول المجاورة ، وكانت دولة الترك بمصر والشام مجاورة لدولة بني هولاكو ، وكانوا يطمعون في ملك الشام ويرددون الغزو اليه مرة بعد أخرى ، ويستميلون اولياءهم وأشباعهم من العرب والتركمان ، فيستظهرون بهم عليهم ، وكانت بين ملوكهم من الجانبين وقائع متعددة ، وحروبهم فيها سجال ، وربما غلبوا من الفتنة بين دولة دوشي وبين بني هولاكو .

ولبعدهم عن فتنة بني دوشي خان توسط الممالك بين مملكتهم ومملكة مصر والشام فتقع لهم الصاغية اليهم ، وتتجدد بينهم المراسلة والمهاداة في كل وقت ، ويستحث ملك الترك

ملك صراي من بني دوشي خان لفتنة بني هولاكو والاجلاب عليهم في خراسان وما اليها من حدود مملكتهم ليشغلوهم عن الشام ، ويأخذوا بحجزتهم عن النهوض اليه . وما زال ذلك دأبهم من اول دولة الترك . وكانت رغبة بني دوشي خان في ذلك اعظم ، يفتخرون به على بني هولاكو » (ابن خلدون ، مج ٥ ، ق ٤ ، ١٩٦٥ : ٩٢٥) .

ويشير المقرئزي الى العلاقات الوثيقة بين سلطنة المماليك ومغول القفجاق فيقول :

«وفيها (٦٨٦ هـ .) جهز السلطان هدية سنوية الى بر بركة ، ومبلغ الف دينار برسم . عمارة جامع قرم ، وان تكتب عليه القاب السلطان ، وجهز حجار لنقش ذلك ، وكتابتها بالأصباغ » (المقرئزي ، جزء ١ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٧٣٨)

اذن ، فقد كان لكل من العامل الديني ، والعامل السياسي دور كبير في توثيق العلاقات بين دولتي المماليك ومغول القفجاق ، وكانت السفارات تنتقل بين البلاطين المملوكي والقفجاق في تحمل الرسائل الودية ، والهدايا السنوية .

إضافة إلى ذلك كان سلاطين المماليك حريصين على مد دولة مغول القفجاق بالمساعدات المادية لبناء المساجد ، ودعم صرح الدين الاسلامي في تلك البلاد . اما عن تطور الوضع السياسي في مملكة مغول القفجاق فيقول ابو الفداء :

والقتل .

ففي ١٢ محرم ٦٩٣ هـ / ١٤ ديسمبر ١٢٩٣ م . تم قتل السلطان الاشرف خليل (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م) ، اثناء قيامه برحلة قنص . ومن ثم تم تعيين اخيه الناصر محمد سلطانا لدولة المماليك ، رغم انه كان في الثامنة فقط من عمره ، وبالتالي كان حكمه صوريا ، في حين تولى كبار الامراء مقاليد الحكم في الدولة .^(٦)

ونتيجة لذلك نجد أنه في ١٢ محرم ٦٩٤ هـ / ٣ كانون الأول - ديسمبر ١٢٩٤ م . تم عزل الناصر محمد ، وجلس نائب السلطنة ، زين الدين كتبغا المنصوري ، على كرسي الحكم ، ملقباً بنفسه بالسلطان العادل .^(٧)

ثم بعد ذلك في ١٠ صفر ٦٩٦ هـ / ٨ كانون الاول - ديسمبر ١٢٩٦ م . تمكن حسام الدين لاجين المنصوري من طرد العادل كتبغا من كرسي الحكم ، واستطاع - بمساعدة أعوانه - أن يمسك زمام الامور في يده ، وحكم السلطنة تحت اسم السلطان المنصور لاجين ، ولكنه لم يستطع أن يحكم دولة المماليك أكثر من سنتين وشهرين .^(٨)

بعد مقتل لاجين المنصوري اتفق الامراء المماليك على إعادة الناصر محمد إلى كرسي الحكم ، وقد حدث ذلك بالفعل ، ففي ١٤ جمادي الاولى ٦٩٨ هـ / ١٧ شباط - فبراير ١٢٩٩ م . تولى الناصر محمد زمام السلطة في سلطنة المماليك .^(٩)

« وفيها (٦٨٦ هـ) نزل تدان بنكو بن طغان بن باطو بن دوشي خان بن جنكز خان عن مملكة التتر بالبلاد الشمالية ، وأظهر التزهذ والانقطاع الى الصلحاء ، وأشار الى أن يملكوا ابن أخيه تلابغا بن منكوتر بن طغان المذكور ، فملك بعده تلابغا ابن المذكور »^(١٠) ولكن لم يستمر حكم تلابغا هذا اكثر من اربع سنوات ، حيث تم قتله خنقا سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م ، يقول المقرئزي :

« وفيها (٦٩٠ هـ) مات قتيلا تلابغا بن منكوتر بن طوغان ، قتله نغية بن مغل بن ططر بن دوشي خان بن جنكز خان . وقام بعده في الملك طقطغا بن منكوتر بن طوغان ، وهو ابن عم تلابغا ، فرتب نغية اخوة طقطغا معه ، وهم بزلك وصرابي بغا وتدان »^(١١)

يظهر لنا بشكل واضح تضارب قول المقرئزي في نسب تلابغا ، فنراه يذكر مرة انه ابن منكوتر ، ثم يقول بعد ذلك ان طقطغا ابن منكوتر^(١٢) ، وهو ابن عم تلابغا ، الامر الذي يدل دون ريب على ان تلابغا ليس ابن منكوتر ، ولكن ابن اخيه .

وعلى ذلك لا يمكن القول إن الأوضاع السياسية كانت مستقرة تماما في بلاد مغول القفجاق ، حيث كان ابناء الاسرة الحاكمة يعملون على تدبير المؤامرات ضد قريبهم الجالس على كرسي الحكم ، لاسباب لا تشير اليها مصادر التاريخ المملوكي .

وفي الوقت نفسه شهد البلاط المملوكي تنفيذ الكثير من عمليات التآمر والخيانة ،

وهكذا ، فمثلا كان البلاط المغولي القفجاقى يشهد مؤامرة الخيانة ، والقتل ، كذلك كان البلاط المملوكى مسرحا لعزل بعض السلاطين ، وقتل بعضهم الآخر من أجل السلطة والحكم .

إضافة الى ذلك يشير المقرئى أكثر من مرة - الى وقوع الخلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة في دولة مغول القفجاق ، فيقول مثلا في سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م .

« واتفق مجيء الخبر بالخلف بين المغل » (المقرئى ، جزء ١ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٨٣٣)

• وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الخلف بين طقطاى وطائفة نغية حتى قتل منهم كثير من المغل وانكسر الملك طقطاى » (المقرئى ، جزء ١ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٨٣٧)

« وفي شهر رجب (٦٩٨ هـ) . . . ورد البريد من حلب بحاربة نغاي وطقطاى . وأنه قتل بينهما من المغل خلق كثير » (المقرئى ، جزء ١ ، ١٩٣٩ - ٩٧١ : ٨٧٤)

أما المؤرخ المعاصر بيبرس المنصورى فيقول :

« وفيها (٦٩٧ هـ) ابتدأ الخلف بين طقطا بن منكوغر ملك بيت بركة وبين نوغية لاسباب، منها : ان ييلق زوجة نوغية استشعرت

من ولديه ، وهما جكا وتكا ، وأظهرا لها الاساءة والامتهان ، فأغرت طقطا بهما ، وأرسلت تحرضه عليهما . ومنها ؛ ان بعض امراء طقطا اوجسوا خيفة من امر بلغهم عنه ، ففارقوه ، وانحازوا الى نوغية ، فقبلهم وأحسن اليهم ، وأنزلهم في حوزية وزوج واحدا منهم اسمه طاز بن منجك بابنته . فأرسل طقطا فطلبهم منه ، فمنعهم عنه ، فأغضبه ذلك ، واحفظه ، وارسل اليه رسولا ، واصحبه محراثا ، وسهما وقبضة من تراب ، فلما جاء الرسول اليه وعرض ما معه عليه ، قال ان لهذه الرسالة خبرا ، ولهذا الرمز اشارة وأثرا ، فجمع كبار قومه ، وذوي مشورته وقال : ما عندكم في هذه الاشارات ؟ وما قصد طقطا بارسال التراب والنشاب والمحراث ؟ فقال كل منهم مقالا ، وجال في تأويلها مجالا ، فقال : ما أصبتم القصد ، ولا أجدتم النقد ، وأنا أخبركم بمراده ، وأعرفكم ضمير فؤاده ، أما المحراث فهو يقول ان نزلتم الى أسافل الأرض اطلعتكم بهذا المحراث ، وأما النشاب فتقول : وان طلعت الى الجو انزلتكم بهذا السهم ، وأما التراب فيقول : اختار لكم ارضا يكون فيها الملتقى ، فعلموا انه اصاب في تأويله ، وفهم فحوى رسالة طقطا ورسوله . فأعاد الرسول وقال : قل لطقطا ان خيلنا قد عطشت ونريد نسقيها من ماءتن ، وهو نهر على مقامر صراى ، وفيه منازل طقطا ، فعاد الرسول بالجواب ، فاستعد طقطا وجمع جنوده ، وأعد حشوده ، وسار للقاءه »

(المنصوري، مخطوط : ورقة ٢٠٠ أ- ٥)

ثم يستكمل بيبرس المنصوري حديثه
حول هذا الموضوع :

الغنائم ، والسبايا ، والاسلاب ، وعاد الى
مكانه » . (المنصوري ، مخطوط : ورقة
٢٠٠ ب - ٢٠٠ أ)

وفي نفس الوقت السذي كان فيه هذا
الصراع يدور بين الملك طقطغا او طقطا او
طقطاي ، او طقاي ونوغية ، كان الناصر
محمد مشغولا بمحاربة التتار . ففي ٢٧ ربيع
الاول ٦٩٩ هـ / ٢٢ كانون الاول - ديسمبر
١٢٩٩ م التقى الجيشان المملوكي والمغولي في
وادي الخازندار ، حيث دارت بين الطرفين
معركة غير متوقعة استطاع المغول على اثرها
احتلال سوريا ، ولكنهم لم يكتشوا فيها
طويلا ، فغادروها عائدين الى فارس .^(٨)

وهكذا بينما كانت دولة مغول الففجاق
تعانسي من المؤامرات داخل البلاط ،
والانشقاق بين كبار الامراء ، كذلك كانت
دولة المماليك صريعة اطماع كبار رجالات
الدولة في السلطة والحكم ، كما كان مغول
فارس يهددون تخومها ، وكأنهم يجدون في
هذا الخلاف فجوة تهوي لهم فرصة مناسبة
لتحقيق مآربهم في الاستيلاء على بلاد الشام
ومصر ، اذا كان بالامكان تنفيذ ذلك .

بعد ذلك بقليل وصلت الاخبار الى
القاهرة بانتصار طقطا بن منكوتمر على نوغية
في معركة حاسمة ، تم فيها قتل نوغية وهزيمة
جيشه شر هزيمة ، في حين حقق طقطا نصرا
كبيراً^(٩) « وكان الذي سبى من نسوانهم
وذرايهم الخلق الكثير ، والجسم الغفير ،

» وفيها (٦٩٧ هـ) سار الملك طقطا بن
منكوتمر ملك التتار لحرب نوغية وأولاده لما
تظاهروا بعناده ، وصاروا من أضداده ،
وذلك ان نوغية مضت له مدة وهو حاكم في
المملكة ، باسط اليد في بيت بركة ، يخلع من
ملوكهم من لا يرضاه ومن اختاره فقد ولاه ،
كما ذكرنا ، فأراد ان يستمر على ذلك ،
ويكون حاكما على تلك الممالك ، فلم يرض
طقطا ان يكون له تبعا ، وجد في قتاله ، وهم
بنزاله ، وبلغ نوغية وأولاده مسيره الى نحوه
وعزمه على حربه ، فجمع العساكر التي
عنده ، والتوامين التي تحت حكمه ، والمقدمين
الذين هم اليه مضافون به مقتادون وهم طاز
بن منجك وهو ختنه على ابنته ، ووطنغر بن
قجبان ، وأباجي بن قرمشي وقراجين أخوه
وبنجي اخوهما ، وماجي ، وسدن ،
والاج ، وصنغي ، وقرشب ، وصلغاي ،
واشق ، وكنجك ، وشبتكاي ، وتركري ،
وقطلوبغا ، ومغلطاي ، ومعهم ما ينيف على
مائتي ألف فارس ، وسار كل منهما لقصد
صاحبه ، فالتقوا على نهر يصى بين مقام طقطا
ومقام نوغية ، فكانت الكسرة على طقطا
وعساكره ، وانهزموا ، وانتهت بهم الهزيمة الى
نهر تن ، فمنهم من عبره فسلم ، ومنهم من
هوى فيه فغرق ، وأمر نوغية عساكره بأن لا
يتبعوا موليا ، ولا يجهزوا على جريح ، وأخذ

أدى إلى تشنج العلاقات الطيبة بين هاتين الدولتين ، وتجمد نشاط التبادل الدبلوماسي بينهما .

وفي الحقيقة ان دولة المماليك لم تستطع ان تخرج من حالة التأهب العسكري الا بعد الانتصار الساحق للنزي أجزره الجيش المملوكي ضد الجيش المغولي في موقعة مرج راهط في ٢ رمضان ٧٠٢ هـ / ٢٠ نيسان - ابريل ١٣٠٣ م ، حيث استطاعت دولة المماليك بذلك النصر ان تؤمن حدودها السياسية ضد اطماع الدول المجاورة .^(١٠)

ومن جانب آخر استطاع طقطا ان يمسك بأمور السلطة في يده ، وان يقضي قضاء تاما على اعدائه ، ومن يميكون المؤامرات ضده . « وخلصت مملكة طقطا من يناؤه ، وبلغ في ابادته اعدائه أمانيه » (المنصوري ، مخطوط : ورقة ٢٢٦ أ) .

وبيعوا بالافطار ، وجلبوا الى الامصار ، واشترى السلطان والامراء منهم بالديار المصرية جماعة من الطوائف التي جلبها التجار ، ودخلوا دين الاسلام بالرغبة ، وأقاموا الصلاة باجتهاد ومحبة » (المنصوري ، مخطوط : ورقة ٢٢٠ ب ، ٢٢٥ أ ، ٢٢٦ أ)

وبالطبع فانه في ظل هذه الظروف السياسية العصبية لا يمكن ان يستمر تبادل الرسل والسفراء ، والرسائل بين البلاطين المغولي القفجاق والمملوكي ، بل اننا نلاحظ صمت مصادر التاريخ المملوكي عن الاشارة الى اي شيء من هذا القبيل . فكل حاكم كان مشغولا بمواجهة ما كان يحاك ضده من مؤامرات ، وتدابير ، اضافة الى ما كانت تحتمه هذه الظروف السياسية من لقاءات عسكرية ، وما كانت تؤدي اليه اطماع الدول المجاورة من اصطدامات حربية ، الامر الذي

الناصر محمد بن قلاوون ومغول القفجاق

ليكون في المساعدة عليه ، فأجيب بأن الله قد كفاهم امر غازان ، وان أخاه خربندا قد أذعن للصلح ، وجهزت له هدية خرج بها مع الرسل الامير سيف الدين بلبان الصرخدى إلى الاسكندرية ، وساروا في البحر»^(١٢) .

وهذا يدل من غير شك على أن الروابط الحسنة كانت قائمة بين دولتي الممالك ومغول القفجاق إلى درجة ان طقطا يعرض استعداداه لمساعدة الناصر محمد في محاربة غازان . وهذا الاخير لا يتردد في القيام بخطوة ايجابية من أجل دعم هذه العلاقات الطيبة ، وبيادر بارسال سفير من قبله هو الامير بلبان الصرخدى ، من أجل ان ينقل إلى طقطا تحيات الناصر محمد ، وشكره الخالص ، وأمله في توطيد العلاقات الطيبة بين البلدين .

ومن جانب آخر نلاحظ ان ابن الدواداري يرى أن قدوم هذه السفارة القفجاقية إلى الناصر محمد تعرض عليه المساعدة والتحالف ضد مغول فارس ، كان هو السبب الذي جعل خربندا خان مغول فارس يسارع بالمبادرة في الكتابة إلى الناصر محمد طالباً الصلح « فلأجل ذلك كان ترقق خدابنده في رسالته ، وسؤال الصلح » (الدواداري ، جزء ٩ ، ١٩٦٠ : ١٢٨) .

ومن ثم يتبين لنا أن الظروف أصبحت مؤاتية من أجل إعادة العلاقات الدبلوماسية المباشرة بين البلاطين القفجاق والمملوكي ، أو بعبارة أكثر دقة بين الملك طقطا والناصر محمد بن قلاوون في فترة حكمه الثانية (٦٩٨ -

٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م) حيث يروي بيبرس المنصوري ضمن حوادث سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م . انه قد « وصل من جهة الملك طقطا ملك التتار رسول إلى الابواب العالية اسمه قرقجى ، فأكرم غاية الاكرام ، وانزل بمنظرة الكباش في خير مقام ، ووصل بكثير من الانعام ، وتفرج في الجيزة والاهرام ، وأعيد جوابه ، وجهز إلى مرسله بأنواع التحف والهدايا ، واللطف ، وسفر الامير سيف الدين بلبان الصرخدى»^(١٣) صحبته رسولا من الباب العزيز « (المنصوري ، مخطوط : ورقة ٢٤٣ أ - ب)

ويؤكد المقرئزي قدوم هذه السفارة القفجاقية بقوله :

« وقدم رسل الملك طقطاي صاحب سراي وبر القفجاق في اول ربيع الأول (٧٠٤ هـ) ، وأنزلوا بمنظر الكباش ، وأجريت لهم الرواتب ثم حضروا بهديتهم وكتاب ملكهم ، وهو يتضمن الركوب لحرب غازان

ويبدو أنه كان من أثر هذه السياسة الودية التي انتهجها الناصر محمد أن طقطا ما لبث أن ارسل بعد سنتين سفيره نامون الى مصر ، حاملا معه هدية جليلة الى الناصر محمد ، حيث يروي بيبرس المنصوري انه في سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٥ م « عادت رسل الابواب الشريفة من عند طقطا ملك التتار ، وهم الامير سيف الدين بلبان الصرخدي ، وسيف الدين بلبان الحكيمي ، وفخر الدين أمير آخور الشمسي ، وصحبته رسول اسمه نامون من جهة الملك المذكور ، فبلغ في اكرامه ، وأعيد بجواب رسالته ، وجهاز معه سيف الدين بكمش الخزنداري رسولا وفخر الدين أياز أمير آخور الشمسي ، وكان من مساهلة سفرهم وتيسيره لهم على ما أخبر به من لسانه سيف الدين الحكيمي المذكور ، انهم استهلوا هلال شهر صفر من هذه السنة في قرم ، وسافروا اول الشهر فوصلوا في العشر الاخير منه الى الاسكندرية ، وتوجهوا في الحرايق الى مصر فوصلوها سلخ صفر ، فكانت المسافة شهرا من قرم الى مصر » (١٣) .

ولكن لماذا هذا الاصرار على استمرار تبادل السفراء والرسل بين البلاطين المملوكي والقفجاق؟ هل هي الرغبة فقط في توطيد العلاقات الطيبة ، أم انه كان هناك من المصالح ما له أثر كبير في حرص طقطا على استمرار الاتصالات مع البلاط المملوكي؟ قد يكون من المفيد ان نستشهد بما يذكره المقرئزي لعلنا نستطيع ان نستشف منه رأيا ما حول هذا الموضوع :

« وفيها قدم الرسل الذين توجهوا الى الملك طقطاي صاحب بلاد الشمال ، وهم الامير بلبان الصرخدي ، ورفقته ، ومعهم نامون رسول طقطاي هدية سنية ، وكتاب يتضمن ان عسكر مصر تسير الى بر الفرات ، ليسير معهم ويأخذ بلاد غازان ، ويكون لكل منهما ما يصل اليه من البلاد . فأكرم الرسول ، وجهازت له الهدايا ، وأجيب بأن الصلح قد وقع مع خربندا ولا يليق نقضه ، فان حدث غير ذلك عمل بمقتضاه ، وسير اليه الامير بدر الدين بكمش الظاهري ، وفخر الدين أياز الشمسي امير آخور وسنقر الاشقر واحد مقدمي الحلقة » . (المقرئزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٧ - ٢٨)

اذن ، فالملك طقطا يحاول عن طريق بعث هؤلاء الرسل ، والكتب الدبلوماسية ، أن يصل الى حلف مع دولة الممالك من أجل تطويق دولة مغول فارس ، فتتيح له هذه الاستراتيجية الحربية في التخطيط العسكري الاستيلاء على ما يريد من أراضي مغول فارس ، اذ سترتب على ذلك تقسيم الجيش المغولي الى قسمين ، يحارب القسم الاول في الجبهة العسكرية الغربية ضد الممالك ، في حين يقاتل القسم الثاني في الجبهة الاخرى ضد مغول القفجاق . وهذا الامر سيؤدي لا ريب الى اضعاف جيش خربندا ، وبالتالي انزال الهزيمة به ، والقضاء على ملكه .

ومن ثم يمكننا القول انه كانت هناك مصالح سياسية تقف وراء السياسة الدبلوماسية الودية التي كان يسلكها طقطا في

علاقته مع دولة المماليك .

في اعتقاد هذا المسلك الدبلوماسي .

ولكن من ناحية أخرى نلاحظ احترام الناصر محمد لعهد الصلح الذي عقده مع خربندا ، وفضل ان يحفظ العهد الذي قطعه على نفسه ، وألا ينتهز هذه الفرصة المتاحة له بالتحالف مع مغول القفجاق .

وهنا ربما يحق لنا أن نسأل هل هذا هو السبب الوحيد الذي جعل الناصر محمداً لا يوافق على التحالف مع طقطا ضد خربندا ؟ أم أنه كان هناك سبب آخر وراء هذا الاعتذار اللبق ؟ يقول ابن حجر « ولم يسلم ، بل كان يجب المسلمين وخصوصاً الفضلاء منهم » (ابن حجر ، جزء ٢ : ١٩٦٦ ، ٣٢٧) .

كما يقول عنه المقرئزي :

« وكان يعبد الاصنام على دين البخشية » (المقرئزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ١٣٧)

تري هل نجد في هذه الروايات جواباً عن تساؤلنا حول موقف الناصر محمد من التحالف مع طقطا ملك مغول القفجاق ؟

على أية حال فقد استمرت المراسلات الدبلوماسية بين المملكتين مما يدل على رغبة طقطا في توثيق علاقاته مع دولة المماليك ، كما ان الناصر لا يضيره ان يوطد روابط الصداقة ، والمودة ، مع دولة كبيرة ، وقوية . ولعله كان يفكر باحتمال ظهور الحاجة الى التعاون مع هذه الدولة ، ولذا نجده مستمرا

يقول ابن ابي الفضائل : « وفي هذه السنة (٧١١ هـ) عاد رسل السلطان الملك الناصر من جهة الملك طقطاي ، فأسروهم الفرنج هم ورسل طقطاي وكانوا نحواً من ستين نفرأ ، ومروا بهم على البلاد الساحلية ، ووصلوا بهم الى طرابلس الشام ، وعرضوا بيعهم بها ، واشتطوا في الثمن وطلبوا ستين الف دينار ، ثم توجهوا بهم الى اياس وعرضوهم على صاحب سبب بهذا الثمن ، فامتنع عن مشتراهم ثم توجهوا بهم الى جزيرة المصطكي ، فبلغ السلطان ذلك ، فأمر بالقبض على تجار الفرنج الذين بثغر الاسكندرية والحوطة على أموالهم والتزم انه لا يطلقهم ولا يفرج عن أموالهم الا بعد حضور رسله فخرج سكران الجنوى التاجر الى جزيرة المصطكي وخلصهم وأرسلهم الى السديار المصرية وكان وصولهم في سادس عشر ربيع الأول سنة اثني عشر وسبع ومائة » (١٤) .

وعلى ذلك يمكن القول ان المراسلات بين الدولتين كانت مستمرة ، وكذلك تبادل الرسل ، الأمر الذي يؤكد الرغبة الكبيرة في توثيق روابط الصداقة بين البلاطين القفجاق والمملوكي .

ولكن حدث بعد ذلك ما جعل الامور تتطور بين البلدين بشكل مختلف حيث يبدو ان طقطاي لما يش من محاولة جذب الناصر محمد للدخول في حلف عسكري معه ضد خربندا ، قرر ان يخوض المعركة وحده . وفي

الوقت نفسه وصلت هذه الانباء الى بلاط خربندا حيث كان شمس الدين قراستقر^١ موجودا ، ومن ثم تكفل بالدفاع عن ايللخانية مغول فارس ، خاصة بعد ان أطلق خربندا يده في اعداد الجيش اعدادا جيدا ، يشابه ما كان موجودا في الجيش المملوكي .

وبالفعل تم اعداد كل شيء ، وانضم اليهم ملك الكرج ، وحاكم ماردين ، وصاحب سيس ، وقد التقى الجيشان في يوم الاربعاء ١٤ جمادي الآخرة سنة ٧١٣ هـ / أيلول - سبتمبر سنة ١٣١٣ م . وكان يظهر بشكل واضح تفوق جيش خربندا في العدة الحربية على جيش طقطا ، وقد استطاع الامير شمس الدين قراستقر ، وأقوش الافرم^(٥) ، والزررد كاش ، وبلبان الدمشقي ، ان يحققوا النصر الكبير لجيش خربندا ، في حين بلي جيش طقطا بالهزيمة المنكرة (الدواداري ، جزء ٩ ، ١٩٦٠ : ٢٧٢ - ٢٧٨) .

ويصف ابن الدواداري فرح خربندا الكبير بهذا النصر الساحق فيقول :

« ورجع خدا بندها فرحا مسرورا بما انعم الله عليه من النصر على أعدائه ، وفرق على أصحابه الخيول ، والبختاسي والممالك ، والجواري ، وأنعم على قراستقر ورفقته بشيء كثير » (الدواداري ، جزء ٩ ، ١٩٦٠ : ٢٧٨) .

ومن جانب آخر يذكر ابن الدواداري :

« لما رجع عسكر طقطاي اليه مكسورين

وعلى اعقابهم ناكسين لم يصل اليه منهم الا القليل النادر ، وهم الاقوياء منهم ، والباقي هلكوا في الطرقات ، لبعد المسافة وعدم الاقوات ، والذين وصلوا الى الملك طقطاي خبروه بما جرى عليهم ، وما كان سبب كسرتهم الا الامراء المصريون ، وأنهوا له جميع ما فعلوه من آلات الحروب التي ما كانوا يعهدونها من بيت قلاوون من قبل ذلك التاريخ ، فصعب على الخان طقطاي ، وجhez رسولا الى الابواب الشريفة السلطانية يشكو ما قد جرى على عساكره من قراستقر ورفقته . وكان هذا الرسول اسمه بكلمش بن قنجوبغا ، وكان يقرب للملك طقطاي وهو عندهم كبير جليل القدر » (الدواداري ، جزء ٩ ، ١٩٦٠ : ٢٧٩)

لا نعلم في الحقيقة السبب الذي جعل الخان طقطا يرسل الى الناصر محمد رسولا يشكو اليه ما فعله الامراء الممالك ، هل هو نوع من العتاب لأن الناصر محمدا لم يوافق على التحالف مع طقطا ضد خربندا ؟ أم انها محاولة جديدة يأمل من ورائها الحصول على موافقة الناصر محمد في التحالف معه ضد دولة مغول فارس ؟ أم أن هذه السفارة الفعجائية قدمت الى البلاط المملوكي من أجل طلب المساعدة الحربية من العساكر والسلاح والخيول ؟ أم أن هذا الرسول قد جاء الى بلاط الناصر محمد يطلب العون العسكري من ناحية ، ويحاول من ناحية أخرى جس نبض السلطان الناصر حول مدى استعدادة لمحاربة

خربندا ، خاصة بعد أن عمل على ايواء
الأمراء المماليك الهاريين من سلطنة المماليك ،
بل واستخدمهم في محاربة صديقة الملك
طقطا .

لعلنا نستفيد مما يرويه ابن الدواداري في
معرفة الجواب عن هذه التساؤلات ، اذ
يقول :

« فعن قليل وصل الرسول المذكور الى
الابواب العالية ، وورد الخبر بذلك ، وأنه
وصل الى ثغر الاسكندرية المحروس ، فسير
مولانا السلطان الامير سيف الدين أقول
الحاجب والتقاء ملتقى حسنا . وكان صحبته
تقدير ثلاث مائة نفر كبار وصغار ، ومماليك
وجوار ، وحضر صحبته وفي خدمته أخو
سكران التاجر الفرنجي ، وحضروا الى الباب
الشريف . وأنزلوا في الكيش على بركة
الفيل ، ورتبوا لهم الراتب الكثير ، وبعد
ثلاثة ايام استحضرهم مولانا السلطان ،
ونظر الرسول الى ترتيب الملك بالديار المصرية
مع هيئة مولانا السلطان التي تكاد تفلق
الحجر وتحير البصر ، فدهش وحار ، وعلاه
الانبهار ، ولم يطق الكلام الا بعد ساعة حتى
رد روعه اليه ، وأدى الرسالة وهو يتلجلج
فيها وقدم ثمانين مملوكا تركا وعشرين جارية
كالبدور الطلع هذا والامراء والمقدمون وقوف
صفوفا صفوفا ، وقد لبسوا الكلوتات
الزركش والطرز الزركش وجلس مولانا
السلطان - خلد الله ملكه ، وجعل الدنيا
بحذافيرها ملكه - في الايوان الجديد وخلفه

ألف مملوك كأنهم اللؤلؤ والمرجان ، وماية
سلحدار والامير سيف الدين أرغون
النائب^(١٦) واقف بين يديه ، وبكتمر
الحاجب^(١٧) كذلك ، وثمانين طير دار ،
وشرف الدين امير حسين بن جند رامير
شكار ، وكذلك كسرى لاجل طيور
التقادم . وكان من جملة كلام الرسول ، بين
يدي الواقف الشريفة يقول : ابن عمك
يسلم عليك ويهنيك بهذا الملك الذي اعطاك
الله ، ولم يكن اليوم شيء مثل ملكك ، ثم
انهى صورة ما جرى على عساكره من قراستقر
ورفقته ولولاهم ما كان عسكر خدابنده له
عندنا قدر . وعمرنا نكسرهم ونهلك
بلادهم - وتحدث بجميع ما كان معه ، ومن
جملة ذلك يطلب عددا وسلاحا ، انعاما من
السلطان عليه ، فأقبل مولانا السلطان عز
نصره عليه اقبالا جيدا ، ورسم له بجميع ما
طلب ، وأخلع على الرسول خلعة سنية ،
طرد مقصب بطرز زركش وحياسة ذهب
بثلاث بياكير وكلوتة زركش » (الدواداري ،
جزء - ٩ ، ١٩٦٠ : ٢٨٠ - ٢٨١)

ثم يستطرد ابن الدواداري في روايته هذه
فيقول :

« وركب مولانا السلطان يوم السبت الى
الميدان ولعب الاكرة ، وركب الرسول ونظر
شيئا أدعشه وراعه . حكى شهاب الدين
المهمندار انه قال : ما ثم ملك الا ملك
مصر ! - وذلك لما عاين الموكب ، وتلك
الخلايق العظيمة ، فبهت لعظم ما قد عاين .

جانب ما يؤدي اليه تبادل الهدايا من
تقوية الصلات بين البلاطين المملوكي
والقفجاقى .

(٣) مسألة الاهمية الدبلوماسية لهذه
السفارات المتبادلة بين الدول الكبرى في
المنطقة حينذاك ، والدور الكبير الذي
لعبه هؤلاء السفراء في توطيد العلاقات
بين هذه الدول التي ترغب في التعاون
مع بعضها . فهذا السفير لا بد ان يكون
ذا شخصية متميزة . بليغ الكلمة ،
ديبلوماسي الحديث ، سريع البديهة ،
يقظ الفكر ، يتكلم لغة الدولة الموفد
إليها ، وملماً بعادات البروتوكول الملكي في
بلاطها بحيث يستطيع بهذا كله أن
يكون كفواً في أن ينوب عن حكومته
بالتحدث في القضايا المتعلقة بين
الدولتين ويمثل الحاكم في مناقشة العاهل ،
الذي يقف بين يديه .

ولا شك ان علاقات هذه الدول ذات
المصالح المشتركة تأثرت كثيراً
بشخصيات هؤلاء السفراء ، والدور
الذي قاموا به في بلاطات الممالك
الآخري ، ومدى مقدرتهم على ازالة
العقبات التي تحول دون تقارب هذه
الحكومات او تقف حائلا دون تعاونها لما
فيه خدمة مصالحها الوطنية .

(٤) المنزلة الكبيرة التي وصلت اليها سلطنة
المماليك في عهد الناصر محمد من تفوق

ثم أمر بألف جوشن وألف خوذة وألف
بركستوان بقيمة كبيرة ، وكان الرسول قد
أحضر معه جلد دب وسقنقود وسيرم ، وأنعم
مولانا السلطان عليه بطريق الهدية الى الملك
طقطاي عدة صناديق قماش تعابى سكندري
وعمل الدار ، وعدة كلوتات زركش
وحوايص ذهب وقلل له سلم على ابن عمي
وقل له : يسير الى جوارى ملاحا ومماليك
قبجاق ، وعرفه اذا تحرك خدابنده عليه يسير
إليّ ، أعبر اليه من قدامه ويحيي هو
من خلفه ، ونخب دياره ، ونقلع آثاره ،
وأى مكان وصلت خيلي يكون لي ، وأى
مكان وصلت خيله يكون له ، وملك بغداد
ونعيد الخليفة الى كرسي خلافته ، انشاء الله
تعالى . وتوجه الرسول عائدا الى بلاده وسافر
من ثغر الاسكندرية « (الدواداري ، جزء
٩ ، ١٩٦٠ : ٢٨١) .

من دراستنا الدقيقة لرواية ابن
الدواداري ، المؤرخ المعاصر للناصر محمد بن
قلاون ، يمكننا ان نلخص بعض
الملاحظات :

(١) حرص الخان طقطا الشديد على استمرار
العلاقات الودية بينه وبين سلطنة
المماليك ، ولذا نراه لا يتردد في بعث
السفارات الى البلاط المملوكي .

(٢) ارسال الهدايا الثمينة والكبيرة الى
الناصر محمد ، ربما من أجل التقرب
اليه ، وكسب مودته ، وصداقته ، الى

إذا ما عاود خربندا التحرك ضده ،
ومحاربته ، حيث سيسير الناصر محمد
بجيشه نحو الفرات ، ومحارب خربندا
ويحمر العراق ، ويعيد الخلافة
العباسية ، في بغداد ، ومن ثم يكون
لكل جيش حق حكم الولايات التي
يفتحها دون منازعة .

(٨) الدور الكبير الذي لعبه الامراء المماليك

الهابسون من البلاط الناصري في
العلاقات المغولية - القفجاقية من
ناحية ، والمملوكية - القفجاقية من ناحية
أخرى فترتب على ذلك الكثير من
النتائج غير المتوقعة ، ويخص بالذكر هنا
شخصية الامير المملوكي شمس الدين
قراسنقر (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) (١٨)
الذي كان نائبا للسلطنة في حلب ،
وبذل جهودا كبيرة في اعادة الناصر محمد
الى السلطة للمرة الثالثة ، فعينه نائبا في
دمشق ، ثم في حلب ، ولكن يبدو ان
الناصر محمد لم ينس دوره في قتل اخيه
الاشرف خليل ، كما كان متخوفا مما كان
يتمتع به من سلطة وقوة ، ولذا عزم على
القبض عليه الامر الذي أدى إلى فراره
نحو بلاط الملك المغولي خربندا الذي
رحب به كثيرا . ومن ثم عينه حاكما على
مراغة ، كما عين صاحبه الأمير أقوش
الأفريم حاكما على همدان . وكما رأينا
فقد حظي شمس الدين قراسنقر بمكانة
كبيرة في بلاط خربندا ، وأصبح مقربا
اليه ، وفي نفس الوقت حرص قراسنقر

عسكري ، وازدهار اقتصادي ، وتقديم
حضاري ، بالإضافة الى ذلك النظام
البروتوكولي الدقيق الذي كان يسير عليه
البلاط المملوكي في هذا العهد ، الامر
الذي أثار دهشة الرسول القفجاقية ،
بحيث انه ادرك ، دون شك ، مدى
التفوق الحضاري الذي وصلت اليه دولة
المماليك في تلك الفترة المتقدمة من
تاريخها .

(٥) يتضح لنا ان السفير القفجاقية قد أتى
البلاط المملوكي حتى يحصل من الناصر
محمد على مساعدة عسكرية يستعين بها
الخان طقطا في حربه ضد خربندا .

(٦) كان الناصر محمد حريصا على تلبية
طلب الملك القفجاقية طقطا ، إما بدافع
من الرغبة في المحافظة على الروابط
الطيبة بين الدولتين ، وإما من أجل
تحقيق هدف الانتقام من خربندا الذي
عمل على الترحيب بالأمراء المماليك
الهابسين من البلاط الناصري ، فأكرم
مشاومهم ، وأحسن ضيافتهم ، او ربما
كان يأمل انه ربما يستطيع طقطا بهذه
المساعدة ان يهزم جيش خربندا وبالتالي
سيقفل هذا من شأن الامير شمس الدين
قراسنقر وبقية الأمراء المماليك في بلاط
خربندا ، وقد يؤدي ذلك الى ان يقبض
خربندا عليهم ، ويرسلهم الى الناصر
محمد .

(٧) وعد الناصر محمد بمساعدة الملك طقطا

واستعادة العراق لصالح الخلافة العباسية ، فيصبح العراق ولاية مملوكية تخضع لسلطة السلطان المملوكي ، كما تغدو بغداد مقر الخليفة العباسي ، كما كان الوضع في السابق .

ولكن القدر لم يمهل الملك طقطا حتى يحقق هدفه في التعاون مع سلطنة المماليك ضد خربندا ، فتوفي عقب ذلك بقليل . وفي الحقيقة تختلف روايات مؤرخي العصر المملوكي ، وبالتحديد عهد الناصر محمد في تعيين السنة التي توفي فيها طقطا^(١١) ولكننا نرجح أنه توفي سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م^(١٢) وقد وصل خبر وفاته الى الناصر محمد سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م . يقول المقرئزي :

« وقدم زين الدين قراجا الخزنداري والخاص ترك من بلاد طقطاي ، وأخبرا بموته ، وهو طقطاي بن منكوتر بن طغان بن باطوا بن جوجي بن جنكزخان ملك التتار ببلاد الشمال ، وأقسام في الملك مدة ثلاث وعشرين سنة وهلك عن ثلاثين سنة ، وكان يعبد الاصنام على دين البخشية ، وملك بعده أذربك خان بن طغرل بن منكوتر بن طغان »^(١٣) .

وعلى ذلك فاذا كان طقطا تولى الحكم سنة ٦٩٠ هـ . ثم توفي بعد حكم دام ثلاثاً وعشرين سنة ، فانه يتبين لنا ببساطة أن وفاته وقعت سنة ٧١٣ هـ .

وهكذا تولى حكم مملكة مغول القفجاق أذربك خان (٧١٣ - ٧٤٢ هـ / ١٣١٣ -

على تحقيق الانتصارات العسكرية لخربندا . ومن ناحية أخرى أثارت هذه الحوادث مشاعر الخوف والقلق عند الناصر محمد ، الى جانب الحقد والغضب ، ولذا تكررت محاولاته في ارسال الفداوية لقتله ، ولكنه لم ينجح في تحقيق رغبته ، واستمر قراسنقر يحظى بطيب العيش في البلاط المغولي إلى أن توفي (AL, Hajji, 1979: pp.79-86)

(٩) الا يحتمل ان الناصر محمداً فكر ، بعد أن فشل في ان يكسب خربندا الى جانبه قلباً وقالبا أن من الأفضل له أن يتعاون مع طقطا ، فيحقق بذلك ثلاثة أهداف ، أولاً: تحويل طقطا الى الدين الاسلامي ، فتصبح دولة مغول القفجاق دولة اسلامية ، قائمة في اساسها على تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ، وهذا الامر ليس مستحيلاً اذا ما تعاون الناصر محمد مع طقطا ضد خربندا ، خاصة وان بركة خان كان مسلماً ، وكذا خلفاؤه ولكن طقطا كان وثنياً ، ومن ثم لم يعد الاسلام هو الدين الرسمي في الدولة . ثانياً: رغبة الناصر محمد في الانتقام من خربندا الذي رحب بأعدائه ، وأكرمهم ، دون أن يعمل حساب الناصر محمد الذي عقد معه عهد الصلح او يقيم وزناً لمكانة دولة المماليك سياسياً ، وعسكرياً ثالثاً : تطلع الناصر محمد نحو توسيع رقعة سلطنة المماليك ، من ناحية الشرق ،

بعث الرسل الى البلاط الناصري دليل أكيد على رغبته الخالصة في توطيد روابط الصداقة ، والمودة مع سلطنة المماليك .

اضافة الى ذلك كان أذربك متحمساً للدين الاسلامي ، وبلغ من تحمسه هذا انه بعث رسلا الى الناصر محمد يبلغه اعتناقه الاسلام ، الامر الذي كان له اثر كبير في استمرار الروابط الوثيقة بين البلدين ، ففي سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م « قدم الامير سيف الدين الخاص تركي ، وزين الدين قراجا الخازندار من بلاد طقطاي ، ومعهم رسل الملك أذربك القائم بعد طقطاي ، واخبروا بإسلامه ومعهم هدية ، فأكرم السلطان الرسل ، وكتب جوابه ، وسفرهم ، وبعث معهم الامير علاء الدين ايدغدي الخوارزمي^(٢٢) بهدية^(٢٣) »

كما يقول ابن حجر :

« كان جيد الاسلام شجاعا ، عابداً (ابن حجر جزء ١ ، ١٩٦٦ : ٣٧٧) ومن ثم فاذا كان عدم اعتناق طقطاي الاسلام قد حال دون التقارب الوثيق بين الدولتين القفجاقية والمملوكية فان هذه العقبة قد زالت بإسلام الحاكم الجديد اذربك ، بل وتفانيه في الاخلاص لهذا الدين . ونتيجة لذلك

كان لا بد ان يعمل الناصر محمد بحرص شديد من أجل توثيق علاقاته مع دولة مغول القفجاق .

وإلى جانب ذلك ، كان أذربك حريصاً على

الذي بدر بارسال سفارة الى الناصر محمد ، فيروي ابراهيم مغلطاي :

« وفي يوم السبت سادس وعشرين ذي الحجة ، وصل رسل أذربك صاحب بلاد القفجاق وهم جماعة كبيرة عدتهم مائة وأربعة وسبعون نفرأ ، وصحبتهم رسول الاشكري ، وكان عند أذربك رسولا صاحب مصر وهما نفران من مقدمي الحلقة وهما طيغا الكرفوني ، وتوفي هناك ، وعلاء الدين الايلاقي ، وحضر صحبة الرسل المذكورين ، ومدة غيبة المذكورين عشرين شهراً ، وأقاموا في البحر صحبة الرسل الواصلين سبعة اشهر واستحضرهم مولانا السلطان يوم الاثنين ثامن عشرين ذي الحجة^(٢٤) .

ويؤكد ابن أبي الفضائل هذه الرواية بقوله :

« وفيها في سادس وعشرين ذي الحجة وصل الى الديار المصرية رسل الملك يوزبك خان الذي جلس موضع الملك طقطاي وكانوا نحو مائة وأربعة وسبعين نفرأ . فأنزلوهم بالكيش ، ونزل صحبتهم رسل الملك الاشكري » (ابن ابي الفضائل ، جزء ٣ : ١٩٢٨ ، ٢٣٨) .

ومن ثم ، فانه يبدو أن أذربك خان هذا كان يرغب في أن يحذو حذو أسلافه في أن تسود علاقات الصفاء بين المملكتين القفجاقية والمملوكية ، وأن بادرتة السريعة هذه ، في

الباحث ان يضمن ، فاننا نرجح ان هؤلاء الرسل قدموا من أجل توضيح سياسة الحاكم القفجاقى الجديد، ونواياه الصداقة في توثيق توثيق علاقات الصداقة مع سلطنة الممالك ، وأنه يسير على خطى اسلافه في هذا المضمار ، خاصة بعد أن أصبحت دولة مغول القفجاق بلدا اسلاميا ، الامر الذي لا بد ان يكون له بالغ الاثر في استمرار العلاقات الودية بين الدولتين ، ولا أدل على صدق هذه المودة من تبادل المراسلات والهدايا بين الطرفين .

ويوضح المقرئ في حديثه عن هذه السفارات ، القيمة الكبيرة للهدايا التي كان يبعث بها الناصر محمد الى الملك اربك خان فيقول :

« وفيها سافر في الرسلية الى بلاد اربك الامير علاء الدين ايدغدي الخوارزمي مملوك يآزي ، ومعه حسين بن صاروا أحد مقدمي الحلقة ، بالهدية في آخر محرم : وهي مائتا عدة كاملة ، ما بين جوشن ، وخوذة ، وبركستوان ، وخلعة كاملة ، التحتاني اطلس أحمر مزركش ، وشاش كافوري ، وبغلطاق فوقاني مفرج مقصب محقق بطرز ذهب ، وكلفته ذهب ، وحياسة ذهب ، وفرس مسرحه ملجمة بذهب مرصع ، وجتر ، وسيف بحلية ذهب ، وسار معهم بطرك الملكية » (المقرئ ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ١٦٤)

يلفت نظرنا في هذا النص موضوع

توطيد العلاقات مع سلطنة الممالك ، حتى انه يذكرنا بما كان عليه جده بركة خان من حماس للاسلام ، وحرص على التقرب من دولة الممالك .

ومن ثم نلاحظ منذ البداية صورة جديدة من العلاقات القفجاقية - المملوكية ، اذ لم يكتف اربك خان بارسال بعثة تنقل الى الناصر محمد خبر اعتناقه الدين الاسلامي ، بل بعث ايضا الهدايا من أجل ارضاء الناصر محمد ، كما يشير بعض المؤرخين الى ان عدد افراد هذه السفارة او البعثة الدبلوماسية كان كبيرا :

« وفي يوم السبت سادس شوال وصل رسل اربك وهم مائة وسبعون نفراً »^(٢٦) .

ومن جانب آخر كان الناصر محمد أشد ما يكون حرصا على توثيق العلاقات مع دولة مغول القفجاق ، فكان يرحب بالرسول المبعوثين ، ويجهزهم بالهدايا ، ويلبي كل ما جاءوا من أجله . يقول ابن ابي الفضائل :

« وفيها (٧١٥ هـ) استحضر السلطان رسل الملك يوزبك ، ورسل الملك الاشكري ، ورسل صاحب مارددين ، وسمع ما جاءوا به ، ثم جهزهم وسير معهم تحفاً ، وهدايا من كل نوع ، وسير من جهته الامير علاء الدين ايدغدي الخوارزمي ، وحسام الدين حسين بن صاروا الى البلاد القفجاقية »^(٢٧) .

غير أنه يصعب التكهن بما جاء به رسل الملك اربك خان ، ولكن اذا كان بإمكان

المملوكية المعاصرة الى عودة السفارة السابقة من البلاط القفجاقى ، اذ يقول ابراهيم مغلطاي :

« وفي يوم الأحد تاسع عشرين شعبان (٧١٧ هـ) وصلت رسل يوزبك ، وصحبهم ايدغدى الخوارزمي ، وحسين بن صاروا ، اللذين توجهوا في ذي الحجة سنة خمس عشرة وسبع مائة (٢٨) .

ويؤكّد المقرئى قءوم هذه السفارة بهءايا ءمينة ءي١ يقول :

« وفيه قءم الأمير علاء الءىن اىءغءى الخوارزمى وءسبن بن صاروا ، وىطرك الملكىة من بلاد ازبك ، ومعهم عءة من رسل أزبك : وهم شرنك ، وبغرطاى ، وقرطقا وعمر القرمى ، . . . ، ومعهم الهءايا : فهءىة ازبسك ءلاث سناقر ، وستة ممالىك ، وزرءىة ، وءوءة فولاذ ، وسىف ، فأكرموا ، وأعىءوا مع الأمير سىف الءىن اطرءى ، والامىر سىف الءىن بىرم ءبجا بهءىة قىمئها عشة آلاف ءىنار (المقرئى ، ءزء ، ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ١٧٧) .

وبعء أن ءناولنا بالءفىصىل المرحلة الاولى فى العلاءا١ الءىلوماسىة بىن سلطنة الممالىك ، وءولة مغول القفءاق ، ربما بكون من المفىء ان نءرس بشىء من الءفىصىل طبعىة الأءوال فى الءولة القفءاقىة لعلنا نءوصل الى صورة اءضح للروابط الءى كانت قائمة بىن البلاطىن المملوكى والقفءاقى .

ءسىر بترك الملكىة الى بلاط ازبك ءان . ولا بوضء المقرئى الغرض من ءلك ، ءما لا ءشىر مصادر الءارىء المملوكى لهذا العهد الى هذا الموضوع على الاطلاق ، الامر الءى بىءلنا فى ءىرة وءساؤل . ولعل السبب وراء ءلك هو وءوء ءالىة مسىءىة فى ءولة مغول القفءاق ، وانه على الرغم من كون أزبك ءان مسلما ، فانه لا بمانع فى وءوء هؤلاء الرعاىا المسىءىىن فى المءمع القفءاقى ، واعطاءئهم الءرىة فى اقامة شعائىر ءىئهم ، بالاضافة الى انه ىرسل الى الناصر محمد بىطرك الملكىة لءى بىقوم بءوءىه هذه ءالىة من الناحىة الءىنىة ، وءصرىف اءوالهم الاءماءىة ، وءل ما بءعلق بشؤ ون ءىائئهم - الامر الءى بءل بءون شك على ما كان بءمىز به أزبك ءان من ءسامء ءبىر نءو رعاىاه المسىءىىن . وقء بىكون لموقف الناصر محمد العاءل ءبها رعاىاه من أهل الءمة ، 147 — AL-Hajji, 1979: 112 أثر ءبىر فى ءشءىع ازبك ءان على سؤل الناصر محمد ءءقىق هذا المطلب له .

ءءلك ءرص ءكام الولاىا١ القفءاقىة على بعء السفراء الى البلاط الناصرى ، بءملون الءءىا١ والهءايا الى الناصر محمد الءى كان بءسن اسءبألهم ، وبببب مطالبهم ، وببببهم للعودة الى بلادهم ءملىن بالءعطاىا ، والهءايا (المقرئى ، ءزء ، ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ١٦٣)

على أىة ءال ءشىر المصادر الءارىءىة

ان مرجعنا الوحيد في هذا الموضوع هو الرحالة المعاصر ابن بطوطة الذي زار البلاط الفعجاقى اثناء حكم أوزبك خان ، ومن ثم يقول :

« اسمه محمد اوزبك ، ومعنى خان عندهم السلطان ، وهذا السلطان عظيم المملكة ، شديد القوة ، كبير الشأن ، رفيع المكان قاهر لاعداء الله أهل قسطنطينية العظمى ، مجتهد في جهادهم ، وبلاده متسعة ، ومدنه عظيمة منها الكفا والقرم والماجر وازاق وسرداق (سوداق) وخوارزم وحضرته السرا وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤها وهم مولانا امير المؤمنين ظل الله في أرضه امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة ايد الله أمره وأعز نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين ويكون هذا السلطان اذا سافر في محلة على حدة معه مماليكه وأرباب دولته وتكون كل خاتون من خواتينه على حدة في محلته فاذا اراد أن يكون عند واحدة منهم بعث اليها يعلمها بذلك فتهيأ له وله في قعوده وسفره وأموره ترتيب عجيب بديع ومن عادته ان يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسوة بصفائح الذهب في وسطها سرير من خشب مكسو بصفائح الفضة المذهبة وقوائمه فضة خالصة ورؤسها مرصعة

بالجواهر ويقعد السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون طيطغلي وتليها الخاتون كبك وعلى يساره الخاتون بيلون ، وتليها الخاتون اردجي ، ويقف أسفل السرير عن اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولده الثاني جان بك ، وتجلس بين يديه ابنته ايت كججك واذا أت أحداهن قام لها السلطان وأخذ بيدها حتى تصعد على السرير ، وأما طيطغلي وهي الملكة وأحظاها عنده ، فانه يستقبلها الى باب القبة فيسلم عليها ويأخذ بيدها ، فاذا صعدت على السرير وجلست حينئذ يجلس السلطان ، وهذا كله على أعين الناس دون احتجاب ويأتي بعد ذلك كبار الامراء فيتنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل انسان منهم اذا اتى مجلس السلطان يأتي معه غلام بكرسيه ويقف بين يدي السلطان ابناء الملوك من بني عمه واخوته وأقاربه . ويقف في مقابلتهم عند باب القبة اولاد الامراء الكبار ويقف خلفهم وجوه العساكر عن يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام الأمثل فالأمثل ثلاثة ثلاثة فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد ، فاذا كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة من الخواتين ، ثم ينصرف سائرهن فيتبعنها الى محلته فاذا دخلت اليها انصرفت كل واحدة الى محلته راكبة عربتها ، ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل ، وأمام العربات نحو عشرين من قواعد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان والعربات ، وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان وامام

ويسرعي انتباهنا ان المرأة القفجاقية كانت جزءاً من البلاط القفجاقسي ، الأمر الذي يختلف كلية عن العادة المتبعة في البلاط السلطاني المملوكي . كما يلفت انتباهنا ما يتصف به ازبك خان من محبة للإسلام ، وعمل للخير ، ومساعدة الفقراء ، والمساكين ، والمحتاجين عملاً بأحكام الشريعة الإسلامية .

ولا شك أن كون دولة مغول القفجاق بهذه القوة ، والمنزلة الكبيرة ، الى جانب تمسك حاكمها بالاسلام والعمل في سبيل المحافظة على سيادة دولته ، ومكانتها الدولية مع التقيد بأحكام وقواعد الشريعة الإسلامية في تصريف كافة الامور الهامة في البلاد ، كل هذا لا بد أن يقرب بينها وبين سلطنة المماليك ، ويكون بينهما تعاون مثمر لما فيه خدمة المنافع المشتركة .

وعلى ذلك نجد انفسنا امام دراسة المرحلة الثانية في موضوع العلاقات المملوكية - القفجاقية ، ومن أهم ما يميز هذه الحقبة من الناحية السياسية وفاة ملك مغول فارس ، خربندا ، اذ يذكر ابن الدواداري ضمن حوادث سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٧ م :

« وفيها وردت الأخبار ان خدابنده ملك التتار ، توفي سادس ذي الحجة ، وكان سبب وفاته زوجته قتلوشاه بنت ارنگان خال الملك خدابنده ، باتفاق من الوزير خواجه رشيد والحكيم جلال الدين سقوه دواء مسهلاً مسموماً فتوفي من ليلته ، وجلس بمملكة التتار ولده ابو سعيد » (الدواداري ، جزء

الفتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركبانا ومثلهم مشاة بأيديهم القضبان ، والسيوف مشدودة على أوساطهم وهم بين الفرسان والفتيان وهكذا ترتيب كل خاتون منهم في انصرافها وبجيتها وكان نزولي من المحلة في جوار ولد السلطان جان بك الذي يقع ذكره فيما بعد ، وفي الغد من يوم وصولي دخلت الى السلطان بعد صلاة العصر ، وقد جمع المشايخ والقضاة والفقهاء والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاما كثيرا وافطرننا بمحضرة وتكلم السيد الشريف نقيب الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضي حمزة في شأني بالخير وأشاروا على السلطان باكرامي وهؤلاء الأتراك لا يعرفون انزال الوارد ولا اجراء النفقة ، وانما يبعثون له الغنم والخيل للذبح وروايا القمر ، وتلك كرامتهم ، وبعد هذا بأيام صليت صلاة العصر مع السلطان ، فلما أردت الانصراف امرني بالعودة وجاءوا بالطعام من المشروبات كما ينصح من الدوقي ثم باللحوم المسلوقة من الغنم والخيل ، وفي تلك الليلة أتيت السلطان بطبق حلواء فجعل أصبعه عليه وجعله في فيه ولم يزد على ذلك » (ابن بطوطة ، ١٨٧٠ : ٢٠١ - ٢٠٣) .

يتضح لنا من كلام ابن بطوطة ان دولة مغول القفجاق بلد اسلامي كبير ، يعمل الحاكم فيه على نشر الاسلام ورفعته ، وهي دولة واسعة المساحة ، عديدة المدن يحكمها ملك يوازي السلطان المملوكي مكانة ومقاما . وعلى ذلك فهي إحدى الدول الكبرى في المنطقة الشرقية من العالم حينذاك .

ويبدو ان هؤلاء الرسل الممالك عرضوا الموضوع على الناصر محمد ، فاستحسن الفكرة ، وبالتالي بعث الناصر محمد الامير علاء الدين ايدغدي الخوارزمي سنة ٧١٥ هـ أو ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م من أجل أن يفتح ازبك خان بالامر . (النويري ، مخطوط ٣٠ : ورقة ١٠٥) ولكن يروي النويري أن البلاط القفجاقى استنكر الفكرة ، كما رفضها كبار الامراء في بيت ازبك .

« هذا لم يقع مثله فيما تقدم من حين ظهور جنكز خان وإلى هذا الوقت ، وفي مقابله ماذا تجهز ابنة ملك من الذرية الجنكز خانية الى الديار المصرية؟ » (النويري، مخطوط جزء ٣٠ : ورقة ١٠٥)

ولكن بعد هذا التردد الذي اشار اليه ابن خلدون في روايته ، وافق ازبك خان على ان يتزوج الناصر محمد احدى الاميرات القفجاقيات ، غير انه بالغ في طلب مهلة طويلة لانتمام الزواج ، حيث يقول النويري : « ما زالت الملوك تخطب الى الملوك ، وملك مصر ملك عظيم يتعين اجابته الى ما طلب ، الا ان هذا الامر لا يكون الا بعد اربع سنين ، سنة كلام ، وسنة خطبة ، وسنة مهادة ، وسنة زواج » (٢٩) .

كما أنه اشترط دفع مهر كبير وهو : « مائة طمان من الذهب - والبطمان عشرة آلاف دينار ، فيكون جملة ذلك ألف ألف

وبذلك يختفي عامل مهم كان يشكل تهديدا مستمرا لحدود دولة مغول القفجاق ، بالإضافة الى ذلك كان هذا الموضوع محور معظم المحادثات المملوكية - القفجاقية على مستوى السفارات المتبادلة بين البلاطين الاسلاميين . وربما يكون في انتهاء وجود هذا العنصر العدائى المشترك ، أثر كبير في تحول المحادثات الثنائية نحو موضوعات أكثر فائدة لكلا البلدين .

ومما يلفت النظر في هذه المرحلة ، كذلك ، مسألة مصاهرة الناصر محمد بيت ازبك خان . وتختلف الروايات المملوكية حول تحديد تاريخ البت في هذا الموضوع ، وأي الطرفين هو البادئ في طرح هذه العلاقة على بساط البحث ، ولذا سنقتصر الكلام على ما نرجحه من روايات ، يقول ابن خلدون ضمن حوادث سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م . انه :

« لما ولي صراي انبك من بني دوشي خان سنة ٧١٣ هـ ، وكان نائباً ببلاد الروم قطلغمير ، وفدت عليه الرسل من مصر على العادة ، فعرض لهم قطلغمير بالصهر مع السلطان الناصر محمد بن قلاون ببعض نساء ذلك البيت ، على شرطية الرغبة من السلطان في ظاهر الامر ، والتمهل عنهم في امضاء ذلك . وزعموا أن هذه عادة الملوك منهم ، ففعل السلطان ذلك ، وردد الرسل والهدايا اعواما ستة الى أن استحکم ذلك بينهم »

دينار- ، وألف ألف فرس ، وألف عدة كاملة للحرب ، وغير ذلك ، واشتروطوا ان تحضر لتسلمها جماعة من الامراء ، ونسائهم ، وغير ذلك من الشروط التي لا تمكن الاجابة اليها ، فنزل السلطان عن هذه الخطبة ، وعدل عنها الى ما جرت به العادة من المكتابات بينه وبين الملك ازيك (النويري ، مخطوط جزء ٣٠ ، ورقة ١٠٥) .

ونتيجة لذلك ، يمكننا القول بأن الموضوع كان في الأساس بناء على مشورة بعض امراء القفجاق للرسول المماليك ، بوحي من ازيك خان نفسه من أجل توطيد الصلات مع الناصر محمد ، ومن جانب آخر رغب الناصر محمد في تنفيذ الفكرة ، ولكن اشتطاط الملك ازيك في طلب مهر عظيم ، الى جانب مسألة التمهّل في تنفيذ ذلك ، أدى إلى أن صرف الناصر محمد النظر عن الموضوع (٣) . ولكن الامور جرت على غير ما كان الناصر محمد يتوقع ، اذ يقول المقرئ :

« ثم توجه سيف الدين طوخي بهدية وخلعة لازبك ، فلبسها وقال لطوخي : قد جهزت لآخي الملك الناصر ما كان طلب ، وعينت له بنتا من بيت جنكزخان من نسل الملك ياطرخان ، فقال طوخي : لم يرسلني السلطان في هذا . فقال ازيك : انا أرسلها اليه من جهتي ، وأمر طوخي بحمل مهرها ، فاعتذر بعدم المال ، فقال نحن نقترض من التجار ، فاقترض عشرين ألف دينار وحملها ، ثم قال : لا بد من عمل فرح

تجتمع فيه الخواتين ، فاقترض مالا آخر نحو سبعة آلاف دينار ، وعمل الفرح وجهزت الخاتون طلبناي ، ومعها جماعة من الرسل » (المقرئ ، جزء ٢ ، ١٨٥٣ : ٦٦) .

هذا الموقف من ازيك خان ، وتراجعه عما كان يصبر عليه من شروط في المهر والتمهّل ، يجعلنا نتأكد من أن الموضوع كان بوحي من رغبته هو شخصيا . ويبدو أنه كان يأمل ان تتوثق العلاقات بين الدولتين اذا تم زواج الناصر محمد من إحدى بنات البيت الحاكم في دولة مغول القفجاق . ولما رأى ان الناصر محمداً صرف نظره كلية عن هذا الزواج ، خشي أن يفلت الامر من يده ، وتضيع فكرة هذا الزواج بشكل نهائي ، ولذا نجده يبادر بارسال الأميرة القفجاقية ، حتى لا يضيع على دولته نتائج هذا الزواج .

فما لا شك فيه أن العلاقات الودية بين الدولتين ستقوى وتتوطد ، ويقوم بينهما نوع من الاتحاد السياسي ، والدفاع العسكري المشترك ، بل إن هذا الزواج سيكسب ازيك خان حليفا عسكريا يفوقه كثيرا في مسائل العدد العسكرية والخطط الحربية .

لهذا كله لا يمكننا سوى أن نعرف هذا الزواج بأنه زواج سياسي ، يقصد منه تحقيق بعض النتائج السياسية والعسكرية لما فيه خدمة الهدف المشترك ، والمنفعة الواحدة .

ونستبعد كلية فكرة أن الرغبة جاءت اصلا من الناصر محمد بدليل انه لما بالغ ازيك خان في بعض الشروط من أجل الموافقة على اتمام

الزواج ، نجد ان الناصر محمدا يتخلل عن الموضوع كلية .

وعلى أية حال فقد تمت مراسيم تجهيز الأميرة القفجاقية حسبما كانت تقضي به العادات الملكية في البلاط القفجاقى ، ومن ثم قدمت الى مصر في احتفال كبير يليق بمكانتها كأمية من بيت جنكزخان ، وزوجة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون (النويرى ، مخطوط جزء ٣٠ : ورقة ١٣٧ - ١٣٨) .

وقد تم ذلك الاحتفال الكبير في ربيع الأول سنة ٧٢٠ هـ / أيار - مايو سنة ١٣٢٠م ، يقول ابن الدوادارى :

«وفي خامس عشرين ربيع الأول وصل الأمير سيف الدين اطرغبي من بلاد بركة من عند الملك أزيك وصحبته الشريفة بنت أخي أزيك ، وحضر معها رجل مقعد ، وقاضي يسمى نور وقالوا : ان هذا القاضي هو الذي أهدي الملك أزيك الى الاسلام ، ومعهم جمع كبير ، وأنزل بها في الميدان الظاهري ، وحضر ايضا معهم رسل كبار من جهة الملك أزيك ورسل الفرنج ، وحضر صحبتهم سكران التاجر الافرنجي ورفيقه استحضرهم مولانا السلطان عز نصره وتحدث معهم ، وكان معهم عدة مماليك وجوار ، ثم استحضر مولانا السلطان الرسل وذلك الرجل المقعد ، وعقدوا العقد الشريف ، ثم نزل الأمير سيف الدين أرغون النائب والأمير سيف الدين بكتمر الساقى والقاضي كريم الدين الكبير الى الميدان ، وطلعوا بالخاتون الجليلة ، وهي على عربة صفة عجلة ملبسة الثياب المذهبة زي

لبس البلاد ، وذكروا ان الرسل والمماليك والجواري وسكران التاجر ورفيقه جميعهم كانوا في مركب واحد ، وأن مشتراه على صاحبه ثمانين الف دينار ولكنه شراها خمسين الف دينار وشيئين وطريدة استصحبوهم معهم ، وكان عدة الجماعة الواصلين الفى نفر وأربع مائة نفر ، توفي منهم في البحر أربع مائة نفر ، ووصل الباقي الى الأبواب الشريفة ، وكان عدة المالك الواصلين مع التجار اربع مائة نفر وأربعين مملوكا ، اشترى منهم مولانا السلطان مايتي مملوك بمبلغ الف الف درهم نقرة ، والباقي اشترتهم الموالى الامراء ، ثم في يوم الجمعة سلخ ربيع الآخر كتب القاضي علاء الدين ابن الأثير رحمه الله الكتاب الشريف السلطاني في شقة أطلس ابيض بالذهب المحلول ، فجاء مدهشاً لمن يراه ، وكان مبلغه ثلاثين الف دينار حالة ، وتضمن الكتاب خطبة عظيمة القدر ، جامعة البراعة الى البلاغة» (٢١)

ويؤكد المقرئى هذه الواقعة بقوله :

« وفيه (ربيع الاول ٧٢٠ هـ) وصلت الستى الرفيع الخاتونى طلنباي (٢٢) - ويقال دلنبية ، وقال طولونية - بنت طغاي بن هند وابن باطو بن دوشي خان بن جنكز خان »

وكان أزيك قد عين المذكورة ، فاستدعى التجار ، واقترض منهم ثلاثين ألف دينار بمعاملتهم ، وصرف كل دينار ستة دراهم ،

وجزها مع بعض أمرائه في مائة وخمسين رجلا ، وستين جارية ، وقاضي سراي ، ومعهم هدية سنية ، فقدموا في البحر الى الاسكندرية في عشرين ربيع الأول ، وخرج الامير اقبغا عبد الواحد في عدة من الامراء ومعه الحراريق الى ساحل مصر ، وركبت في العربة الى الميدان ، والحجاب تمشي قدام العربة ، فأقامت بالخيام ثلاثة ايام ، ثم حلت الى القلعة ليلة السبت نهاية ربيع الأول في عربة تجرها العجل ، وهي كالقبة مغطاة بالديباج ، وفي خدمتها الامير أرغون النائب ، والامير بكتمر الساقى والقاضي كريم الدين الكبير .

وفي يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر ، جلس السلطان للرسل ، وحضر كبيرهم باينار وكان مقعدا لا يقدر على القيام ولا المشي ، وانما يحمل ، ودخل معه ايتغلي ، وطقبغا ، ومنغوش ، وطرجي ، وعثمان خجا ، والشيخ برهان الدين امام القان ، ورسل الاشكري ، فاجلس باينحار ، وأخذ منه كتاب ازبك ، فبلغ السلام وقال : (أخوك أزبك ، أنت سيرت طلبت من عظم القان بنتا ، فلما لم يسيرها لم يطب خاطرك ، وقد سيرنا لك من بيت كبير ، فان اعجبتك خذها بحيث لا تخلي عندك أكبر منها ، وان لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى : ان الله يأمركم ، ان تؤدوا الامانات الى أهلها فقال السلطان : « نحن ما نريد الحسن ، وانما نريد كبر البيت ، والقرب من أخي ، ونكون نحن واياه شيئا واحدا ، وبلغه ايضا برهان

الدين مشافهة من قبل أزبك . فتولى قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة العقد على ثلاثين الف دينار ، الحال منها عشرون الفا ، والمؤجل عشرة آلاف ، وقبله السلطان بنفسه وكتب علاء الدين على بن الاثير كاتب السر العقد بخطه وصورته بعد البسملة : « هذا ما أصدق مولانا السلطان الاجل الملك الناصر على الخاتون الجليلة بنت أخي السلطان أزبك خان طولو ابنة طغاي بن بكر بن دوشي خان بن جنكز خان » .

وخلع السلطان يومئذ خمسمائة خلعة ، وكان يوما مشهودا ، وبنى عليها من ليلتها ، فلم تلق بخاطره ، وأصبح السلطان فتقدم الى كريم الدين أكرم الصغير بالتوجه الى الصعيد ، وتعبه الاقامات في قوص وجهاز الرسل بالمهدايا والانعامات ، وسفرهم وركب للصيد « المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٠٣ - ٢٠٥ » .

يتضح لنا من نصوص المؤرخين الممالك ، انه على الرغم من أن الناصر محمداً كان قد صرف النظر عن فكرة الزواج بأميرة قفجاقية ، فانها عندما حضرت ، عمل بموجب ما تقضي به الاخلاق الكريمة ، واحترام العلاقات الاخوية مع الدول المجاورة ، فأمر بأن يحتفل بقدموها ، وهيا لها استقبالا رسميا كبيرا ، وتم عقد القران في احتفال ضخم ، ولا شك ان هذا يعطينا صورة عما اتصف به الناصر محمد من كرم الاخلاق ، الى جانب حرصه الشديد على ما يربط بين دولة الممالك ودولة مغول القفجاق

من مودة وصداقة .

كذلك يتبين لنا من كلام رسالة الملك أذربك أن الناصر محمد كان قد تخلى بالفعل عن موضوع هذا الزواج بسبب اشتطاط أذربك خان في شروط انعامه ، الأمر الذي أدى الى أن يسارع خان القفجاق باصلاح الوضع ، وأرسال الأميرة القفجاقية ، من أجل توطيد العلاقات بين الدولتين ، وتعاونهما معا في ميادين العمل المشترك .

اضافة الى ذلك يمكننا ان نستدل من كلام الناصر محمد في جوابه للرسل القفجاقين أن الغرض من هذا الزواج هو تحقيق التقارب بين البلاطين المملوكي والقفجاقى ، بحيث تكون البلدان دولة واحدة ، مشتركة المصالح والأهداف ويعمل ملكاهما متعاونين من أجل تحقيق المنافع الجليلة لكلتا الدولتين .

ولكن يبدو للوهلة الاولى ان هذا الزواج لن يحقق هذه النتائج المرتقبة ، اذ لم تكن الأميرة على مستوى الجمال الذي يتطلع اليه الناصر محمد ، ولذا عمل على تجهيز الرسل بالهدايا ، وغادر القاهرة الى الصعيد في رحلة قنص ، غير أنه من الناحية الرسمية كان يظهر ان هذا الزواج أدى الى استحكام عرى الصداقة بين الدولتين خاصة وان الناصر محمد جهز الرسل بالهدايا وبعث معهم الامير سيف الدين طقصباي^(٣٣) ، رسولا من عنده الى بلاط أذربك خان (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢١٥) .

ثم بعد ذلك عاد الامير سيف الدين طقصباي من بلاد أذربك خان (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢١٥) وهذا الامر يبرهن على استمرار العلاقات الديبلوماسية بين البلاطين ، وكذلك استمرار تبادل الرسائل والهدايا .

بالاضافة الى ذلك ، يبدو ان الناصر محمد كان حريصا على ان تظل الصلات وثيقة بين الدولتين ، ولذا نجده يرسل الامير سيف الدين طقصباي او طقصبا في سفارة ثانية الى بلاط أذربك خان ، وبعد ان انتهت هذه السفارة من مهمتها نجدها تعود الى القاهرة بصحبة بعض الرسل القفجاقين (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٣٦) .

ولكن يسترعي انتباهنا بخصوص هذه السفارة القفجاقية ما يرويه المقريزي :

« . . فاحضروا ، ولم يعبا السلطان بهم لكثرة شكوى طقصبا من تغير أذربك عليه ، واطراحه له ، وأعيد الرسل بالجواب » (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٣٦) .

ترى ما الذي جعل أذربك يتغير في معاملته لرسل دولة المماليك ؟ في الحقيقة لا تشير المصادر التاريخية المملوكية الى أي شيء بصدد هذا الموضوع ، كما لا تتضمن اي نص أو عبارة توضح الاسباب التي أدت الى تغير معاملته أذربك خان ، الى درجة ان الامير

العلاقات بين الدولتين المملوكية والقفجاقية ودية، ووثيقة، على الرغم من كل العوامل المؤثرة .

وتؤكد بعض المصادر المملوكية ان المراسلات الدبلوماسية بقيت نشطة بين البلاطين المملوكي والقفجاقى^(٢٥) ولعل هذا يعود الى رغبة كلا الحاكمين في استمرار هذه الروابط الودية .

ومن ثم نجد انفسنا ملزمين في ان نعتبر هذا التوتر، وعدم الصفاء في العلاقات المملوكية - القفجاقية، ظاهرة واضحة تحدد بداية المرحلة الثالثة في روابط هاتين الدولتين . فقد كان كلا البلاطين يأمل في تحقيق كثير من الاهداف المشتركة نتيجة هذا الزواج ، بل اننا نرى من خلال كلمات ملك المغول وسلطان الممالك ، انه كان من المأمول أن يكون زواج السلطان المملوكي بأميرة قفجاقية سببا في توحيد البلدين ، وجعلهما بلدا واحدا . ولكن لم يقدر لهذه الآمال ان تتحقق ، وفشل هذا الزواج الملكي ، او بالاحرى السياسي ، ودفنت بفشله تلك التطلعات الكبيرة التي كانت تسيطر على أفكار حكام هذين البلدين ، ولكن رغم كل ذلك استمرت السفارات تنتقل بين البلاطين حرصا على بقاء العلاقات الدبلوماسية بينهما .

ومن جانب آخر حدثت تطورات في الوضع السياسي بالمنطقة بشكل أثر كثيرا على طبيعة العلاقات المملوكية - القفجاقية .

سيف الدين طقصبا اشتكى هذا الوضع السيء للناصر محمد شخصيا . ولذا يتعذر علينا تأكيد الدوافع وراء ذلك ، ولكن يمكننا ان نرجح ان الاخبار وصلت الى البلاط القفجاقى حول موقف الناصر محمد تجاه الاميرة القفجاقية الامر الذي أثار التوتر والغضب لدى أفراد الاسرة المالكة ، وعلى رأسهم أربك خان نفسه ، اذ يبدو ان أربك خان كان يعلق الآمال الكبيرة على هذا الزواج ، وما يمكن ان تحجبه دولة مغول القفجاق من منافع عظيمة ، ومن ثم فان آماله كلها - على ما يظهر - باءت بالفشل والفشل ، الامر الذي أثار هواجسه ، وبالتالي تصرفه الغاضب نحو رسل سلطنة الممالك .

ولكن من جانب آخر نلاحظ انه على الرغم من ان الاميرة القفجاقية لم تحزع اعجاب الناصر محمد، الا أنه لم يكن عازما على أن يجعل هذا الامر مؤثرا في العلاقات الردية القائمة بين البلدين ، ومن ثم فانه عندما اشتكى له الامير طقصبا تغير معاملة أربك خان له ، نراه يتأثر ، ويعمل على عدم الاحتفاء بهم حسبا كانت عليه العادة في كل مرة يقدمون بها الى البلاط المملوكي .

ومع ذلك نجد أن الناصر محمدا يعيد الرسل القفجاقين بالجواب المناسب فسافروا وبصحبتهم رسول من البلاط الناصري هو قراقوش الكوندكي احد مقدمي الحلقة^(٢٦) . وهذا يؤكد رغبة الناصر محمد في أن تبقى

علمناه من توتر الروابط بين الدولتين ؟
يصعب تحديد ماهية موقف دولة المالك تجاه هذا العداء المفتوح بين هاتين الدولتين المغوليتين . الا أننا نلاحظ وصول رسل الخان ابي سعيد ملك مغول فارس أكثر من مرة الى البلاط المملوكي في السنوات ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ، ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م ، ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، وكان الناصر محمد يبالغ في اكرامهم ، والاحتفاء بهم^(١١) .

ويبدو أن هذه السفارات المغولية كانت تهدف الى عقد صلح مع سلطنة المالك حيث يقول المقريري :

« وفيه (رجب ٧٢٢ هـ) توجه الامير سيف الدين أيتمش المحمدي^(١٢) الى السلطان ابي سعيد بن خربندا لعقد الصلح وعلى يده هدية سنوية ، وسفر بألف دينار (المقريري ، جزء ٢ : ٢٣٧) .

ثم بعد ذلك بأشهر « وفيه (ربيع الاول ٧٢٣ هـ) قدم الخبر باجتماع الامير ايتمش بالسلطان ابي سعيد ، وأنه أكرم غاية الكرامة ، وعاد الى ماردين » (المقريري ، جزء ٢ : ٢٤١) .

وبذلك تم عقد الصلح بين دولة مغول فارس وسلطنة المالك ، اذ يروي ابن الدواداري ضمن حوادث سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م :

« وفيها كان الصلح بين المسلمين والتار ، وذلك بحسن تدبير مولانا السلطان وبركة سياسته التي تحير فيها الافكار ، حتى عادت

ففي سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م وصلت الاخبار الى الناصر محمد بأن جوبان المغولي الفارسي قد سار لحرب الملك أربك (المقريري جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٣٢) . ثم بعد ذلك في يوم السبت ٢ صفر سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م . خرج الامير جمال الدين اقوش نائب الكرك^(١٣) ، والامير علم الدين سنجر الجمقدار^(١٤) ، والامير سيف الدين ألماس الحاجب^(١٥) ، والامير سيف الدين طرجي^(١٦) أمير مجلس ، والامير بهاء الدين أصلم السلاح دار^(١٧) بمضافيهم ، وطائفة من أجناد الحلقة ، الى غزو مدينة سيس لأن حاكمها امتنع عن ارسال العطايا السنوية للسلطان . ولكن الحقيقة أن السبب وراء هذه الحملة هو توجه الملك أربك نحو بلاد ابي سعيد ملك مغول فارس (المقريري ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٣٥ - ٢٣٦) . وكذلك صدرت الاوامر السلطانية بخروج عساكر الشام ايضا (المقريري ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٣٦) .

وعلى ذلك يمكننا أن نستنبط ان العلاقات بين دولة مغول القفجاق ودولة مغول فارس كانت متوترة ، وقد ازداد الامر سوءا الى درجة تعبئة الجيوش ، والسير للملاقاة بعضهما في معركة حاسمة . ولكن ما هو موقف سلطنة المالك من هذا العداء ؟ وما السبب وراء خروج العساكر المملوكية من مصر والشام ؟ هل هي لمساعدة أربك خان صهر الناصر محمد ؟ ام لحماية حدود دولة المالك بعد ما

ونتيجة لذلك عمل ابو سعيد على المبادرة والدخول في مفاوضات مع سلطنة الممالك لعقد صلح معها . وعندما سارت جيوش المغول ضد بعضها ، امر الناصر محمد بخروج الجيش المملوكي لحماية حدود دولته وسيادتها ، ولم يكن - على ما يبدو - في نيته مساعدة أي منهما ضد الأخرى ، فأزبك خان صهره ، وتربطه به صداقة وحلف ، وأبو سعيد يرسل سفاراته واحدة تلو الأخرى لعقد الصلح والهدنة ، وكان الناصر محمد يرغب في هذا الصلح بدليل انه تم عقده ، ولذا لم يكن من المعقول ان يشن الحرب ضد ابي سعيد حرصا على سير المفاوضات الجارية بينهما من أجل الصلح (ابن خلدون ، مج ٥ ، ق ٤ : ١٩٦٥ : ٩٢٧)

ولعل سبب هذه الرغبة الشديدة لدى ابي سعيد لعقد الصلح هو مخاوفه من ان يستنجد أزبك خان بحليفه الناصر محمد ضد مغول فارس ، فيلبي الأخير مطلبه هذا ، الأمر الذي قد يؤدي إلى هزيمة دولة مغول فارس هزيمة منكرة ، ولعل مما يؤكد هذا الحرص الكبير ما يشير اليه المقرئ في من انه عقب وصول الامير أيتمش ، وبالتحديد في ١٤ جمادى الآخرة سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م . قدمت رسل ابو سعيد لتحليف السلطان الناصر محمد على الصلح ، وكانوا يحملون الهدايا الكثيرة « فقرأ كتابه بوقوع الصلح » (المقرئ في ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٤٥) ثم سافروا الى بلادهم مجهزين بالهدايا السنوية .

أسماها على السنة السمار ، وكان ذلك على يد مجد الدين السلامي التاجر السفار . ثم حضر في هذه السنة رسول الملك ابي سعيد ، وسأل المرحم الشريفة على الصلح فأنعم له مولانا السلطان بذلك لما رأى فيه من الحظ والمصلحة للاسلام ، فجازه الله عن رعيته ورعايته خير الجزاء الذي في أيامه اطمأنت نفوس العالم ، وقد كانت المخاوف من قبل (تؤ زهم أزا) وذكر أن الهدنة وقعت بينهما لمدة عشر سنين وعشرة أيام » (الدواداري ، جزء ٩ ، ١٩٦٠ : ٣١٢ - ٣١٣) . أما المقرئ في يقول :

« وفيه (صفر ٧٢٣ هـ) قدم الامير أيتمش المحمدي من عند ابي سعيد ، وقد عقد الصلح بينه وبين السلطان ، وخطب بذلك في يوم الجمعة بمدينة تورين على منبر الجامع ، وقد حمل الامير أيتمش معه نسخة الايمان التي تتضمن حلف ابي سعيد ، وجوبان ، والوزير ، وما أنعم به عليه ابو سعيد : وهو ما قيمته نحو المائتي ألف درهم ، ولؤلؤا اشتراه بأربعين ألف درهم قوم بمائة الف ، وقدم ايتمش ذلك كله للسلطان ، وحلف الا يدخل في ملكه ، فقبله منه ، وأنعم عليه بمائة الف درهم ، وحمل له كريم الدين عشرين الف درهم من عنده » (المقرئ في ، جزء ٢ : ٢٤٢) .

بهذه الأقوال من مؤرخي العصر المملوكي يمكننا ان نفهم أن العداء اشتد بين أبي سعيد وأزبك خان ، وكان أزبك خان يعلق الآمال على مساعدة صهره السلطان الناصر محمد ،

رغم الاحاح الشديد من قبل الخان أبي سعيد
ورسله ، الا أن الناصر محمداً اعتذر بأن بناته
صغيرات ، ولسن في سن الزواج^(٤٤) .

وهكذا أدى صلح سلطنة المماليك مع دولة
مغول فارس الى القضاء التام على كل آمال
أزبك خان في التحالف مع الناصر محمد ، او
حتى مجرد الحصول على مساعدات عسكرية
تعيّنه في الحرب ضد أبي سعيد .

أما فيما يتعلق بالأمية القفجاقية ، فإن الناصر
محمداً طلقها سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م . وبعد
أن انقضت عدتها عقد قرانها على الأمير سيف
الدين منكلي بغا^(٤٥) في ٢٩ شوال سنة ٧٢٨
هـ / ١٣٢٨ م . (المقريري ، جزء ٢ ،
١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٢٩٨) . ثم تزوجها بعده
الأمير صوصون ، وعندما مات ، زوجها
الناصر محمد للأمير عمر بن أرغون^(٤٦) في يوم
الأثنين ١٩ محرم سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م^(٤٧) .
وقد ظلت في عصمته حتى توفيت يوم السبت
١٥ ربيع الأول سنة ٧٤١ هـ / أيلول -
سبتمبر سنة ١٣٤٠ م^(٤٨) .

ويبدو أن هذه الزيجات تمت دون معرفة
أزبك خان ، ولم تصل اليه الأخبار
بخصوص هذا الموضوع الا سنة ٧٣٥
هـ / ١٣٣٥ م . فبعث رسله الى الناصر محمد
يعتب عليه طلاقه للأميرة طلنباي ابنة أخيه ،
وأنه ساء كثيراً خبر تزويجها من بعض
المماليك ، ولذا يسأل عودتها الى البلاط
القفجاقى ، فأجابه الناصر محمد بأن الأميرة
القفجاقية قد ماتت ، وأنه يأسف لهذا الأمر ،

ونستطيع أن نستشف من سياسة الناصر
محمد انه يرغب في توطيد العلاقات مع جميع
الدول الكبيرة في المنطقة ، بحيث يقوم بينه
وبينهم صلح وروابط متينة من المودة
والصداقة .

ومن ثم انتهت تلك المفاوضات
الديبلوماسية بعقد صلح سنة ٧٢٣
هـ / ١٣٢٣ م . مع دولة مغول فارس .
وبدأت العلاقات تتوثق بين الدولتين من
خلال استمرار تبادل السفراء ، والرسل بين
بلاطيهما من أجل توطيد الروابط الوثيقة^(٤٩) .
وقد كان من نتيجة هذه الصلات الوثيقة ،
انه لما طلب أزبك خان من الناصر محمد
مساعدته ضد أبي سعيد وجويان ، اعتذر
الناصر محمد بأن الصلح يربطه مع دولة مغول
فارس ، ولا يجوز الاخلال به . وكان خبر
الصلح قد بلغ أزبك خان « ورسل الناصر
عنده فأغلظ في القول وبعث بالعتاب ،
واعترضه الناصر بأنهم انما دعوه لاقامة شعائر
الاسلام ولا يسعه التخلف عن ذلك ، فقبل »
(ابن خلدون ، مج ٥ ، ق ٤ ، ١٩٦٥ :
٩٢٧) .

ولكن رغم ذلك كله كان ابو سعيد ، خان
مغول فارس يخشى أن يأتي اليوم الذي يقف
فيه الناصر محمد ، الى جانب أزبك خان
ضده ، لذا ورغبة منه في قطع الطريق على
عدوه ، نجده يعمل على ارسال الرسل الى
الناصر محمد يعرضون موضوع زواج أبي
سعيد من إحدى بنات الناصر محمد ، ولكن

ويبعث اليه الرسل بالتحيات والهدايا (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٣٧٨) .

يظهر أن الناصر محمدا قد طلق الأميرة طلبةباي هذه بعد زواجه منها بثماني سنوات من أجل أن يتزوج غيرها . ولكنه خشي أن يعيدها للبلاط القفجاقى لما قد يسببه هذا الأمر من سوء العلاقات والنتائج . ومن ثم زوجها بأحد الأمراء المماليك من أجل أن تظل قريبة منه ، فيراعى أمورها ، ويحول دون ما يسيء إليها .

ومن ناحية أخرى يسترعى انتباهنا عادة تزويج السلاطين المماليك مطلقاتهم بالأمراء المماليك في البلاط المملوكى كنوع من التفضل الفخري على هذا الأمير أو ذاك ، مكافأة له على حسن خدمته للسلطان ، ولذا فالسلطان يزيكه على غيره من الأمراء ، ويمنحه هذا الامتياز بتزويجه من مطلقة .

ولكن ماذا عن أثر هذه الاخبار ، الخاصة بتزويج الأميرة طلبةباي بثلاثة من الأمراء المماليك ، على أزبك خان ؟ سنجد الجواب فيما طرأ على العلاقات المملوكية - القفجاقية من ركود وتشنج .

يذكر المقريزي أنه في نهاية جمادى الأولى سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٨ م قدم مراد قجار سول أزبك خان الى بلاط الناصر محمد ، فأقام في القاهرة مدة خمسة أشهر ونصف ، وسافر في ١٤ ذى القعدة سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٨ م ،

وانه منذ ٣ ربيع الآخر سنة ٧٢٩ هـ / شباط - فبراير سنة ١٣٢٩ م . لم يحضر من عند أزبك خان إلا هذا الرسول (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٤١٠) . ولكن يظهر أن الناصر محمدا كان يحاول أن يعيد العلاقات المملوكية - القفجاقية الى ما كانت عليه من المودة ، والصدقة ، ولذا نراه يوفد سفارة وهدية الى أزبك خان بعد فترة وجيزة من سفر الرسول القفجاقى ، يقول المقريزي :

« وفي حادي عشرى ذى الحجة (٧٣٧ هـ) سافر خواجه عمر ، وسر طقطاي مقدم البريدية ، بهدية الى أزبك ، ومعهما مبلغ عشرين ألف دينار لشراء مماليك وجواري من بلاد الترك » (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ : ٤٢٣) .

ترى ماذا سيكون رد أزبك خان بعد ان وصلت اليه انباء الصلح والعلاقات الودية بين دولة مغول فارس والبلاط الناصري ، وأيقن أنه خسر حليفا قويا كان من الممكن ان يساعده ضد أعدائه مغول فارس الذين طالما هددوا حدوده في خوارزم وشمال خراسان ؟ (ابن خلدون ، مج ٥ ، ق ٤ ، ١٩٦٥ : ٩٢٧) .

وهل سيسكت ازاء ما وصل اليه من انباء تقلب أحوال ابنة أخيه الأميرة طلبةباي وزواجها من ثلاثة من الأمراء المماليك ؟ وإلى أي مدى اقتنع بجواب الناصر محمد بأنها قد توفيت منذ سنوات ؟

ثالثا : الروابط الوثيقة التي كانت قائمة بين البلاطين المغولي الفارسي والملوكي .

ونتيجة لذلك ، فانه عندما عاد مراد قجا الى ملكه أذربك خان اطلعه على حقيقة هذا الوضع ، ومن ثم نجد أذربك خان يعمل في الحال على تحضير سفارة كبيرة للقدوم مع مطلع سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م . الى البلاط الملوكي ، وتتقدم الى الناصر محمد شخصيا بطلب أذربك خان الزواج من إحدى بناته .

و على الرغم من ترجيحنا صحة هذا الرأي ، فاننا لا نستطيع أن نتأكد من نوايا أذربك خان وراء هذا الطلب .

ربما كان يريد أن يعيد إلى العلاقات الملوكية - القفجاقية طابعها الودي ، وصيغتها الأخوية الوثيقة . وربما كان يخطط للانتقام لما حدث للأميرة طلنباي بزواجه من إحدى بنات الناصر محمد ، فيجعلها تعاني الذل والهوان في البلاط القفجاقى . وربما ايضا كان يرغب في أن يكسب دولة المالك حليفة لدولة القفجاق من جديد ، خاصة وأن الخان أبا سعيد قد توفي سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م .^(٥١)

على أية حال يظهر أن الناصر محمدا لم يوافق على طلب أذربك خان ، وقد يكون اعتذر عن عدم تنفيذ ذلك بديبلوماسيته المعروفة ، وسياسته المميزة ، ومن ثم جهز الرسل بالهدايا والتحيات الى أخيه أذربك

لعلنا نجد الجواب على تساؤلنا هذه فيما يذكره المقرئ :

« وفيها (محرم ٧٣٩ هـ) قدم رسل الملك أذربك صحبة الأمير سرطقطاي مقدم البريدية بهدية ، وكتاب ، يطلب فيه مصاهرة السلطان ، فجهزت اليه هدية ، وأنعم على رسله وأعيدوا »^(٥٢) .

ونلاحظ أنه على الرغم من اشارة بعض المصادر الملوكية الى قدوم هؤلاء الرسل القفجاقين ، وكثرة عددهم وتضمنهم عددا من الأعيان ، الا أنها لا تشير الى كون هذه السفارة قدمت من أجل طلب أذربك خان مصاهرة الناصر محمد .^(٥٣) ولكننا نرجح رواية المقرئ ، ذلك أن السفارات بين البلاطين الملوكي والقفجاقى توقفت لمدة ثماني سنوات منذ سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م . حتى سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٨ م . ثم فجأة يفد الى البلاط الناصري رسول قفجاقى هو مراد قجا ، ويستمر بقاءه في القاهرة خمسة أشهر ونصف .

ولا شك أنها مهلة كافية كي يعرف فيها حقيقة ما كان يجري من حوادث في البلاط الملوكي ، ويبدو انه اقتنع بعدة مسائل .

أولا : فتور الموقف الملوكي في علاقاته مع البلاط القفجاقى .

ثانيا : ان الأميرة طلنباي ما تزال حية ، وتعيش في ظل زوج هو أحد الامراء المالك .

خان ، وانتهى بذلك موضوع المصاهرة الجديدة ، ودفنت معه كل نوايا وآمال أذربك خان المتعلقة به . ومنذ رحيل أولئك الرسل ، وحتى وفاة الناصر محمد سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م . لا نجد أي ذكر بخصوص قدوم أي رسول من بلاط أذربك خان الى البلاط الناصري .

ويبدو ان الملك أذربك اقتنع أخيرا بأن

الناصر محمدا يسير على سياسة الصلح والصدقة مع كل الدول المجاورة والبعيدة ، الكبيرة والصغيرة ، وبذلك ترتبط دولة المماليك بعلاقات طيبة مع معظم دول العالم حينذاك ، وبناء على ذلك يمكن لدولة المماليك ان تستفيد الكثير من هذه الروابط الطيبة في مختلف ميادين العمل المشترك ، والتعاون المثمر ،

الهوامش

- ١ - المختصر ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، انظر كذلك السلوك ، ج ١ ، ٧٣٨ .
- ٢ - السلوك ، ج ١ ، ص ٧٧٥ - ٧٧٦ ، قارن المختصر ، ج ٤ ، ص ٢٦ .
- ٣ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ .
- ٤ - مسالك ، ورقة ١٣٢ ب (مخطوط باريس ٢٣٢٨) ، زبدة ، ورقة ١٨٥ ب ، نزهة ، ورقة ٢٢ ب ، مصر ، ورقة ٣٣ أ - ب ، درة ، ورقة ٦٩ ب ، تذكرة ، ورقة ١١ أ ، ملوك ، ج ٨ ، ص ١٨٤ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٨٩ - ٧٩٤ .
- ٥ - مسالك ، ورقة ١٣٣ أ (مخطوط باريس ٢٣٢٨) ، زبدة ، ورقة ١٨٨ ب ، نزهة ، ورقة ٢٥ أ ، تذكرة ، ورقة ١١ ب ، ملوك ، ج ٨ ، ص ١٩٣ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٨٠٦ - ٨٠٧ ، الدرر ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ ، النجوم ، ج ٨ ، ص ٤٩ - ٥٠ .
- ٦ - مسالك ، ورقة ١٣٤ أ - ب (مخطوط باريس ٢٣٢٨) ، نزهة ، ورقة ٢٧ أ - ب ، مالك ، ورقة ٤٢ أ - ب ، مصر ، ورقة ٣٩ أ - ب ، السلوك ، ج ١ ، ص ٨٢٥ ، الدرر ، ج ٤ ص ١٤٤ ، النجوم ، ج ٨ ، ص ٨٥ ، قارن ، زبدة ، ورقة ١٩٤ ب .
- ٧ - مسالك ، ورقة ١٣٤ ب (مخطوط باريس ٢٣٢٨) ، زبدة ، ورقة ٢٠٣ ب ، نزهة ، ورقة ٣١ ب ، مالك ، ورقة ٤٢ ب ، مصر ، ورقة ٤٢ ب - ٤٤ درة ، ورقة ٧٧ أ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٨٧٢ - ٨٨٣ ، الدرر ، ج ١ ، ص ٥٠٣ ، ج ٤ ، ص ١٤٥ ، النجوم ، ج ٨ ص ١١٥ - ١١٦ .
- ٨ - لمزيد من التفاصيل انظر ، مسالك ، ورقة ١٣٥ أ - ب (مخطوط باريس ٢٣٢٨) ، نزهة ، ورقة ٣١ ب - ٢٣ ب ، مالك ، ورقة ٤٣ ب ، مصر ، ورقة ٤٥ أ - ٤٦ ب ، درة ، ورقة ٧٨ أ ، تذكرة ، ورقة ١٢ أ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٨٧٩ ، ٨٨٢ - ٩٠٢ ، الدرر ، ج ٤ ، ص ١٤٥ ، النجوم ، ج ٨ ، ص ١٧٧ - ١٣٠ .
- ٩ - زبدة ، ورقة ٢١٩ ، ب - ٢٢٠ ب ، انظر كذلك ، المختصر ، ج ٤ ، ص ٤٤ .
- ١٠ - مسالك ، ورقة ١٣٦ ب - ١٣٧ ب (مخطوط باريس ٢٣٢٨) ، ذيل ، ورقة ٤ أ - ٨ ب ، نزهة ، ورقة ٣٥ أ ، ٣٥ ب ، مالك ، ورقة ٤٤ أ - ٤٥ أ ، مصر ، ورقة ٤٨ أ ، درة ، ورقة ٨٢ ب - ٨٣ أ ، تذكرة ، ورقة ١٣ أ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٩٣٠ - ٩٣٩ ، الدرر ، ج ٤ ، ص ١٤٥ ، النجوم ، ج ٨ ، ص ١٥٧ - ١٦٦ .
- ١١ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
- ١٢ - السلوك ، ج ٢ ، ص ٧ ، انظر كذلك ، النهج ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٧ ، الدرر ، ج ٩ ، ص ١٢٨ .
- ١٣ - زبدة ، ورقة ٢٤٩ أ ، انظر كذلك ، زيتيرشتين ، ص ١٣٤ ، النهج ج ٣ ، ص ١١٧ .
- ١٤ - النهج ، ج ٣ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ، انظر كذلك ، السلوك ج ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .
- ١٥ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٦ .

- ١٦ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .
- ١٧ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ٢ ، ص ١٧ - ١٨ .
- ١٨ - انظر ترجمته ، ملوك ، ج ٨ ، ص ٩٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، الدرر ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، النجوم ، ج ٨ ، ص ٤ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٨٨ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ٢٣٩ - ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ج ٩ ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ٣٠ - ٣٣ .
- ١٩ - النهج ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ ، زيتيرشتين ، ص ١٦١ المختصر ، ج ٤ ، ص ٦٣ ، الدرر ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .
- ٢٠ - النهج ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ ، زيتيرشتين ، ص ١٦١ .
- ٢١ - السلوك ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، قارن ، ص ١٣٢ .
- ٢٢ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ ، انظر كذلك السلوك ج ٢ ، ص ٦١٤ .
- ٢٣ - مصر ، ورقة ١٧٢ أ - ٧٣ ب ، انظر كذلك ، زيتيرشتين ، ص ١٦١ ،
- ٢٤ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .
- ٢٥ - السلوك ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ، قارن ، زيتيرشتين ، ص ١٦٤ .
- ٢٦ - زيتيرشتين ، ص ١٦٤ ، قارن ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .
- ٢٧ - النهج ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، انظر كذلك ، زيتيرشتين ص ١٦٤ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
- ٢٨ - مصر ، ورقة ، ١٧٧ أ ، انظر كذلك ، زيتيرشتين ، ص ١٦٦ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .
- ٢٩ - نهاية ، ج ٣٠ ، ورقة ١٠٥ ، انظر كذلك ، السلوك ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٦ .
- ٣٠ - الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، انظر كذلك ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .
- ٣١ - الدرر ، ج ٩ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ، انظر كذلك ، مصر ، ورقة ٨١ ب - ٨٢ ب ، زيتيرشتين ، ص ١٧٠ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٦ - ٦٧ ، الدرر ، ج ١ ، ص ٣٧٧ ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، العبر ، المجلد الخامس ، ق ٤ ، ص ٩٢٦ .
- ٣٢ - انظر ترجمتها ، الدرر ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .
- ٣٣ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .
- ٣٤ - مصر ، ورقة ٨٤ أ - ب ، زيتيرشتين ، ص ١٧٢ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .
- ٣٥ - مصر ، ورقة ٨٧ أ ، ٨٩ ب ، ٩٣ أ - ب ، ٩٤ أ ، الدرر ، ج ٩ ، ص ٣٤٥ ، زيتيرشتين ، ص ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٩ - ١٨٠ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .
- ٣٦ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٤٤٣ - ٤٢٤ .
- ٣٧ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .
- ٣٨ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .
- ٣٩ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٣١٧ .
- ٤٠ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٤١٦ - ٤١٧ .
- ٤١ - مصر ، ورقة ٨٣ أ ، ٨٤ ب ، ٨٦ أ ، زيتيرشتين ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .
- ٤٢ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .
- ٤٣ - مصر ، ورقة ، ٨٦ أ - ب ، ٨٨ أ ، ٨٨ ب ، ٩٠ ب ، ٩٢ أ ، ٩٢ ب ، ٩٣ أ ، ٩٤ ب ، ٩٥ أ ، ٩٧ أ ، ٩٨ ، ١٠٠ أ ، ١٠١ أ ، ١٠٤ ب ، ١٠٧ أ ، الدرر ، ج ٩ ، ص ٣٤٩ ، ٣٦١ ، ٣٨١ ، ٣٩٩ ، المختصر ، ج ٤ ، ص ٩٧ ، ٩٩ ، زيتيرشتين ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، السلوك ، ج ٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ - ٣٠٠ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢٠ ، ٣٦٧ ، العبر المجلد

- الخامس ، ق ٤ ، ص ٩٢٦-٩٢٧ .
- ٤٤ - مصر ، ورقة ٩٥ أ ، المختصر ، ج ٤ ، ص ١٠٠ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ٣١١ ، ٣٤٤ .
- ٤٥ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ٥ ، ص ١٣٦ .
- ٤٦ - انظر ترجمته ، الدرر ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ .
- ٤٧ - مصر ، ورقة ١٣٨ - أ - ب ، زيتيرشتين ، ص ٢١٦ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ .
- ٤٨ - مصر ، ورقة ١٣٨ أ ، زيتيرشتين ، ص ٢١٦ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ .
- ٤٩ - السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٥٧-٤٥٨ ، قارن ، مصر ، ورقة ١١٩ أ ، زيتيرشتين ، ص ٢٠٠ .
- ٥٠ - مصر ، ورقة ١١٩ أ ، زيتيرشتين ، ص ٢٠٠ .
- ٥١ - مصر ، ورقة ١٠٧ ب ، زيتيرشتين ، ص ١٩١ ، المختصر ، ج ٤ ، ص ١١٨ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .

قائمة الاختصارات

الأرقام هنا تدل على رقم المصدر في قائمة المصادر والمراجع

٧٤	السيوطي	حسن	١٢	السخاوي	ارشاد
٤٥٤	ابن تغرى بردى	حوادث	١١١	المقرئزي	غائة
٦٣	الذهبي	خبر	١٩	الصفدي	الألباب
١١٣	المقرئزي	الخطط	١١٨	النويري	الامام
٧٥	السيوطي	خلفاء	٥٣	ابن حجر	انباء
٦٢	الدواداري	الدور	٦٠	ابن دقماق	انتصار
٥٢	ابن حجر	الدور	٥٦	حسن	بحرية
٦	ابن حبيب	درة	٤١	ابن اياس	بدائع
٦٥	الذهبي	دول	١٠٧	ابن كثير	البداية
٣٧	اليونيني	ذيل	٢٣	العيني	البدر
٣٣	المنصوري	زبدة	١١٠	المقرئزي	بيان
٧٠	زيتيرشتين	زيتيرشتين	٦٩	الزبيدي	تاج
٢٧	مجهول	سلاطين	٨٠ ، ٢٠	الصقاعي	تالي
١١٤	المقرئزي	السلوك	٧٣	السخاوي	تبر
٥٠	ابن الجيعان	سنية	١١٩	ابن الوردي	تتمة
٩٢	ابن العماد	الشذرات	٤٤	ابن بطوطة	تحفة
١٠٤	القلقشندي	صبح	٧	ابن حبيب	تذكرة
٧٢	السخاوي	الضوء	٢٩	مجهول	تركية
٣٩	الادفوي	الطالع	٨٨	ابن عبد الظاهر	تشریف
٥٧	بن خلدون	العبر	٩٣	العمرى	تعريف
٤٩	الجبرتي	عجائب	٣٠	مجهول	تقويم
٥٥	حسن	عصور	٨	ابن دقماق	ثمين
١٦	ابن شاکر	عيون	٢٨	مجهول	جواهر

٥٨	ابن خلدون	المقدمة	٥٤	ابن حجر	فتح الباري
٩٩	ابن الفرات	ملوك	٧٦	ابن شاکر	فوات
٤٦	ابن تغری بردی	المنهل	٨١	الظاهرى	كشف
٤٧	ابن تغری بردی	مورد	١١٥	ابن منظور	لسان
١٧	الشجاعى	ناصر	١٠٣	القلقشندي	مآثر
٢٦	الكرمي	ناظرين	١٨	الصفدي	مالك
٤٨	ابن تغری بردی	النجوم	٨٤	عاشور	المجتمع المصري
٣١	مجهول	نزهة	٩٧	ابو الفداء	مختصر
١١٧، ٣٥	النويري	نهاية	٥١	ابن الحاج	مدخل
١٠٠	ابن أبي الفضائل	النهج	١٢٠، ٣٦	البافعي	مرآة
١٥	السيوطي	واعون	٢٢	العمري	مسالك
٧٩	الصفدي	وافى	٣٢	مغلطاي	مصر
١٤	السخاوي	وجيز	٧١	السبكي	معيد

المصادر والمراجع

أولاً: مصادر مخطوطة

الإسنوي: عبد الرحمن بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م)

(١) الكلمات المهمة في مباشرات أهل الذمة

مخطوط المتحف البريطاني Or. 11581

ابن إياس: محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)

(٢) جواهر السلوك في أخبار الخلفاء والملوك

مخطوط كيمبرج Qq 74

مخطوط دار الكتب ٦٢٠٣ ف ٦٤٨

البلوي: خليل بن عيسى

(٣) تاج المفارق في تحلية علماء المشارق

« رحلة البلوى »

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ٢٢٨٦

ابن تغري بردى: أبو المحاسن يوسف (ت ٧٦٤ هـ / ١٤٧٠ م)

(٤) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور

مخطوط برلين ٩٤٦٢

(٥) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج ٥

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 2072

ابن حبيب: الحسن بن عمر (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)

(٦) درة الأسلاك في دولة الأتراك

مخطوط أكسفورد ٦٢٣ March 223

(٧) تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه
Add. Rich 7335 مخطوط المتحف البريطاني

ابن دقماق: ابراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)
(٨) الجوهر الثمين في تاريخ الخلفاء والسلاطين
مخطوط أكسفورد Digby Or. 28

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨ م)
(٩) ذيل تاريخ الاسلام
مخطوط شستر بيتي 1400
(١٠) كتاب العبر في التواريخ
مخطوط أكسفورد Digby Or. 15
(١١) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام
مخطوط المتحف البريطاني 1558

السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٢هـ / ١٤٩٧)
(١٢) ارشاد الغاوي بل اسعاد الطالب والراوي للاعلام
بترجمة السخاوي.
مخطوط ليدن 1106
(١٣) ذيل دول الاسلام
مخطوط أكسفورد 349, 611
(١٤) وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام
مخطوط برلين 6463

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥ م)
(١٦) عيون التواريخ
مخطوط كيمبرج Add. 2923
ج ٧ مخطوط بدار الكتب المصرية ١٤٩٧ تاريخ
ج ١٢ مخطوط مصور بالجامعة العربية ٣/٣٤٥ تاريخ
الشجاعي: شمس الدين (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤ م)
(١٧) تاريخ السلطان الملك الناصر محمد وبنيه
مخطوط برلين 9833

الصفدي: الحسن بن عبد الله (القرن ٨ هـ / ١٤ م)

(١٨) نزهة المالك والملوك

مخطوط المتحف البريطاني Or, 6267

الصفدي: خليل بن أبيك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)

(١٩) تحفة ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 5827

الصقاعي: فضل الله بن أبي بكر (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)

(٢٠) تالي كتاب وفيات الأعيان

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 2061

العلمي: مجير الدين عبد الرحمن (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م)

(٢١) تاريخ المعتبر في أنباء من عبر

مخطوط المتحف البريطاني Or. 154

العمرى: ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م)

(٢٢) مسالك الأبصار

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ٢٣٢٨ و ٢٣٢٥

مخطوط أيا صوفيا 3417 ، ج ٤

العيني: محمد بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)

(٢٣) تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر

مخطوط المتحف البريطاني Add 22360

(٢٤) كتاب عقود الجمان في أخبار أهل الزمان

مخطوط كيمبرج Qq. 176

ابن قاضي شهبة: أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٨ م)

(٢٥) الاعلام بتاريخ الاسلام

مخطوط اكسفورد Marsh 143

الكرمي: مرعي بن يوسف بن أبي بكر (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م)

(٢٦) نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلطين

مخطوط شستر بيتى 4907, 10

مجهول؟

(٢٧) تاريخ السلاطين والعساكر

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 1705

مجهول؟

(٢٨) تاريخ جواهر السلوك في سياسة الخلفاء والملوك

مخطوط المتحف البريطاني Or. 6854

مجهول؟

(٢٩) تاريخ الدولة التركية (٦٥٠ - ٨٠٥ هـ / ١٢٥٢ - ١٤٠٢ م)

مخطوط كيمبرج Qq. 147

مجهول؟

(٣٠) تقويم البلدان المصرية في الأعمال السلطانية

مخطوط كيمبرج Qq. 65

مجهول؟

(٣١) نزهة الانسان في ذكر الملوك والأعيان

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 1769

مغلطاي: ابراهيم (عاش في النصف الأول من القرن ٨ هـ / ١٤ م)

(٣٢) تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب

مخطوط برلين 9835

النصوري: ركن الدين بيبرس (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م)

(٣٣) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة

مخطوط المتحف البريطاني 23325, 11

ابن منكلي: محمد بن محمد (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م)

(٣٤) الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية

مخطوط دار الكتب المصرية ٢٣ فروسية

التويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)

(٣٥) نهاية الأرب في فنون الأدب

مخطوط مصوردار الكتب المصرية ٥٤٩ معارف عامة

الأجزاء ١٩ - ٣٠

اليافعي: أبو محمد عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م)
(٣٦) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان
وتقلب أحوال الانسان
مخطوط أكسفورد Marsh 176

اليونيني: موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)
(٣٧) ذيل مرآة الزمان
مخطوط مصور الجامعة العربية ٢/٢٥٧ تاريخ، ج ٤

وثائق:

(٣٨) وثيقة دير القديسة كاترين
جبل سيناء
رقم ٣٣ ، ٣٤

ثانيا: مصادر مطبوعة

الادفوي: أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
(٣٩) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد
تحقيق سعد محمد حسن
القاهرة، ١٩٦٦م

ابن الأكفاني: محمد بن ابراهيم (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
(٤٠) نخب الذخائر في أحوال الجواهر
تحقيق أ.م. الكرمل
القاهرة، ١٩٣٩م

ابن اياس: محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)
(٤١) بدائع الزهور في وقائع الدهور
٣ أجزاء، القاهرة، ١٨٩٣ - ١٨٩٦م

الباشا: حسن

(٤٢) الألقاب الاسلامية، القاهرة، ١٩٥٧م
(٤٣) الفنون الاسلامية والوظائف، ٣ أجزاء، القاهرة، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م

ابن بطوطة : محمد بن عبدالله (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
(٤٤) تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
القاهرة ، ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م

ابن تعزى بردى : أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠ م)
(٤٥) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور
جزئين تحقيق ويليام بوبر

لونس انجلوس ، ١٩٣٠ - ١٩٤٢ م
(٤٦) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي
الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٦ م
(٤٧) مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة
باشراف ج . د . كارليل

طبعة أوروبا ، ١٧٩٢ م
(٤٨) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
١٢ جزءاً ، القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٦ م

الجبرتي : عبد الرحمن (ت ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢ م)
(٤٩) عجائب الآثار في التراجم والأخبار
الجزء الأول تحقيق حسن محمد جوهر وآخرين
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٦ م

ابن الجيعان : يحيى بن شاكراً (ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م)
(٥٠) التحفة السنية باسماء البلاد المصرية
باشراف ب . مورتز

القاهرة ، ١٨٩٨ م
ابن الحاج : محمد بن محمد (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م)
(٥١) المدخل

٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٢٩ م
ابن حجر : أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)
(٥٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
٤ أجزاء ، حيدر اباد ، ١٩٢٩ - ١٩٣٢ م
٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦ م
(٥٣) إنباء الغمر في أبناء الغمر

جزءان ، حيدر اباد ، ١٩٦٧ م

(٥٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري

١٣ جزءاً ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م

حسن : علي ابراهيم

(٥٥) مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني

القاهرة ، ١٩٦٤ م

(٥٦) تاريخ المماليك البحرية

القاهرة ، ١٩٦٧ م

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)

(٥٧) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

٧ أجزاء ، بيروت ، ١٩٥٦ م

(٥٨) المقدمة

القاهرة ، طبعة دار الشعب

دراج : أحمد

(٥٩) المماليك والفرنج

القاهرة ، ١٩٦١ م

ابن دقماق : ابراهيم بن محمد (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)

(٦٠) الانتصار لواسطة عقد الأمصار

جزءان في كتاب واحد

القاهرة ، ١٨٩٣ م

الدواداري : ابو بكر بن عبد الله بن أبيك (معاصر للناصر محمد بن قلاوون)

كنز الدرر وجامع الغرر

(٦١) ج ٨ الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية

تحقيق و . هاريمان ، القاهرة ١٩٧١ م

(٦٢) ج ٩ الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر

تحقيق هـ . ر . رومير ، القاهرة ١٩٦٠

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م)

(٦٣) العبر في خبر من غبر

٥ أجزاء ، الكويت ، ١٩٦٠ - ١٩٦٦ م

(٦٤) خلاصة تهذيب الكامل في اسماء الرجال

تحقيق أ . أ . الخزرجي

- القاهرة ، ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م
 (٦٥) كتاب دول الاسلام
 جزءان ، حيد اباد ، ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م
 (٦٦) سير أعلام النبلاء
 ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٦ - ١٩٦٢ م
 (٦٧) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام
 ٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٦٨ - ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٨ - ١٩٤٩ م
 (٦٨) تذكرة الحفاظ
 ٤ أجزاء ، حيدر اباد ، ١٨٩٧ م
 الزبيدي : محمد مرفضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م)
 (٦٩) تاج العروس من جواهر القاموس
 طبع منها ١٦ جزءاً ، الكويت ، ١٩٦٥ - ١٩٧٦ م
 زيتر شتين
 (٧٠) تاريخ سلاطين المماليك
 نشرة كارل ف . زيتير شتين
 ليدن ١٩١٩ م
 السبكي : تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب
 (٧١) معيد النعم ومبيد النقم
 طبعة داود ولهم موهرمين
 ليدن ١٩٠٨ م
 السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م)
 (٧٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
 ١٢ جزءاً ، القاهرة ، ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٤ - ١٩٣٦ م
 (٧٣) التبر المسبوك في ذيل السلوك
 القاهرة ١٨٩٦ م
 السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
 (٧٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
 جزءان ، تحقيق م . أ . ابراهيم
 القاهرة ، ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م
 (٧٥) تاريخ الخلفاء
 تحقيق م . م . عبد الحميد

- القاهرة ، ١٩٦٤ م
- ابن شاکر : محمد بن أحمد الکتبی (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٩٣ م)
- (٧٦) فوات الوفیات والذیل علیها
- ٤ أجزاء ، تحقیق احسان عباس
- بیروت ١٩٧٤ م
- الشوکانی : محمد بن علی (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)
- (٧٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
- جزءان ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م
- الصفدی : خلیل ابی أبیک بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)
- (٧٨) اماره دمشق فی الاسلام
- دمشق ، ١٩٥٥ م
- (٧٩) الوافی بالوفیات
- ٨ أجزاء ، ١٩٣١ - ١٩٧١ م
- Bibliotheca Islamic نشرة
- الصقاعی : فضل الله بن أبی الفخر
- (٨٠) تالی کتاب وفیات الاعیان
- تحقیق جاکلین سوبله
- دمشق ١٩٧٤ م
- الظاهری : خلیل بن شاهین (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م)
- (٨١) زبدة کشف الممالیک
- تحقیق بول ریفز
- باریس ١٨٩٤ م
- عاشور : سعید عبد الفتاح
- (٨٢) العصر الممالیکی فی مصر والشام
- القاهرة ، ١٩٦٥ م
- (٨٣) مصر فی عصر دولة الممالیک البحرية
- القاهرة ١٩٥٩ م
- (٨٤) المجتمع المصری فی عصر سلاطین الممالیک
- القاهرة ، ١٩٦٢ م
- (٨٥) أوربا العصور الوسطی ، الجزء الأول ، التاریخ السیاسی
- القاهرة ، ١٩٦٦ م

عباس : احسان

(٨٦) العرب في صقلية:

القاهرة ، ١٩٥٩ م

عبد السيد : حكيم أمين

(٨٧) قيام دولة المماليك الثانية

القاهرة ، ١٩٦٦ م

ابن عبد الظاهر : محيي الدين أبو الفضل عبد الله (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م)

(٨٨) تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور

تحقيق م . كامل

القاهرة ، ١٩٦١ م

العرينى : الباز

(٨٩) المماليك

بيروت ، ١٩٦٧ م

علي : عبد اللطيف ابراهيم

(٩٠) نصاب جديدان في وثيقة الأمير صرغتمش

مقالة في مجلة كلية الاداب ، المجلد ٢٧ و ٢٨

القاهرة ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م

(٩١) من وثائق التاريخ العربي

مقالة في مجلة جامعة القاهرة

بالخرطوم

العدد الثاني ١٧٩١ م ، القاهرة ، ١٩٧٢ م

ابن العماد : عبد الحي أحمد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م)

(٩٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب

٨ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣١ - ١٩٣٢ م

العمرى : ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م)

(٩٣) التعريف بالمصطلح الشريف

القاهرة ١٨٩٤ م

عنان : محمد عبد الله

(٩٤) مصر الاسلامية وتاريخ الخطط

المصرية

القاهرة ، ١٩٦٩ م

(٩٥) العلائق الدبلوماسية بين القاهرة والممالك الأسبانية النصرانية في
العصر المملوكي

أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة

القاهرة ، ١٩٧١ م

العيدر وسي : عبد القادر ابن الشيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩ م)

(٩٦) كتاب تاريخ النور السافر

بغداد ، ١٩٣٩ م

أبو الفداء : اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

(٩٧) المختصر في أخبار البشر

٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م

(٩٨) تقويم البلدان

تحقيق م . رينود ، م . سلان

باريس ، ١٨٤٠ م

ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م)

(٩٩) تاريخ الدول والملوك

ج ٨ ، تحقيق قسطنطين زريق وآخرين

بيروت ١٩٣٩ م

ابن أبي الفضائل : مفضل

(١٠٠) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد

ج ٢ ، ٣ ، تحقيق أ . بلوشيه

باريس ، ١٩٢٨ م

فهمي : نعيم زكي

(١٠١) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب .

القاهرة ، ١٩٧٣ م

القوطى : عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م)

(١٠٢) الحوادث الجامعة

تحقيق مصطفى جواد

بغداد ١٩٣٢ م

القلقشندي : أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

(١٠٣) مآثر الإنافة في معالم الخلافة

٣ أجزاء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج

الكويت ، ١٩٦٤ م
(١٠٤) صبح الأعشى في صناعة الانشا
١٤ جزءاً ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩٢٢ م
ابن القيم : شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٨٥١ هـ / ١٣٥٠ م)
(١٠٥) أحكام أهل الذمة
دمشق ، ١٩٦١ م

كازانوف : بول

(١٠٦) تاريخ ووصف قلعة القاهرة
ترجمة وتقديم أحمد دراج
مراجعة جمال محرز
القاهرة ١٩٧٤ م
ابن كثير : اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)
(١٠٧) البداية والنهاية
١٤ جزءاً ، ١٩٣٢ م
الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م)
(١٠٨) الأحكام السلطانية
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م

سعد : مصطفى

(١٠٩) الاسلام والنوبة في العصور الوسطى
القاهرة ١٩٦٠ م
المقريزي : أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م)
(١١٠) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب
تحقيق م . عابدين
القاهرة ، ١٩٦١ م
(١١١) إغاثة الأمة بكشف الغمة
حمص ، ١٩٥٦ م
(١١٢) الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام
القاهرة ، ١٨٩٥ م
(١١٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار « الخطط المقرية »
جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٣ م
٣ أجزاء ، بيروت ، ١٩٥٩ م

(١١٤) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك
ج ١ ، ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة
ج ٣ ، ٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور
القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٧١ م
ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ / ١٣١١ م)
(١١٥) لسان العرب
٢٠ جزءاً ، طبعة بولاق

موسى : محمد يوسف

(١١٦) ابن تيمية
القاهرة ، ١٩٦٢ م
النويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢ م)
(١١٧) نهاية الأرب في فنون الأدب
١٨ جزءاً ، القاهرة ، ١٩٢٣ - ١٩٣١ م
النويري : محمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني
(توفي بعد سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٢ م)

(١١٨) كتاب الإلمام بالاعلام فيما جرت به
الأحكام والأمور المقضية في وقعة
الاسكندرية
تحقيق اتين كومب ، عزيز سوريال عطية
٦ أجزاء

حيدر اباد ، ١٩٦٨ - ١٩٧٣ م
ابن الوردي : عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م)
(١١٩) تنمة المختصر في أخبار البشر
جزءان ، القاهرة ، ١٨٦٨ م
اليافعي : عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨ / ١٣٦٧ م)
(١٢٠) مرآة الجنان وعبرة اليقظان
٤ أجزاء

حيدر اباد ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ / ١٩١٨ - ١٩٢٠ م
ياقوت : شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
(١٢١) معجم البلدان

٨ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٠٦ م

اليوزبكي : توفيق سلطان
(١٢٢) تاريخ تجارة مصر البحرية
في العصر المماليكي
الموصل ، ١٩٧٥ م

المراجع الأجنبية

(i) Books:

Arberry, A.J.

The Chester Beatty library, A Handlist of the Arabic Manuscripts. 7 vols., Dublin 1955-64.

Arnold, Thomas W.

The Caliphate. London, 1965.

Ayalon, David.

L'Esclavage du Mameluk. Jerusalem, 1951.

Balog, Paul.

The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria. New York, 1964.

Brokelmann, Carl.

Geschichte der Arabischen litteratur. 2 vols, Leiden, 1943-44 and sup. 3 vols., Leiden, 1937-42.

Burbridge, P.G.

Notes and References. Cambridge, 1952.

Dubnov. Simon.

History of the Jews. 5 vols. (Translated from the Russian fourth definitive revised edition by Moshe Spiegel). South Brunswick, New Jersey, 1967-1973.

Dunlop, D.M.

Arab Civilization to A.D. 1500. London, 1971.

Esposito, Mario.

Itinerarium Symonis Semeonis Ab Hybernica Ad Terram Sanctam. Dublin, 1960.

Gibb, H.A.R.

Studies on the civilization of Islam. London, 1962.

Glubb, Sir John.

A short History of the Arab peoples. London, 1969.

Goitein, S.D.

(i) **Jews and Arabs.** New York, 1955.

(ii) **A Mediterranean Society.** 2 vols. University of California Press, 1967.

(iii) **Studies in Islamic History and institutions.** Leiden, 1966.

Heyd, Uriel.

Studies in Islamic History and Civilization. Jerusalem, 1961.

Holt, P.M., A.S. Lambton and B. Lewis.

The Cambridge History of Islam. Vol. 1. Cambridge, 1970.

Howorth, Sir Henry.

History of the Mongols. 4 vols. London, 1976-1927.

Kammerer, A. Albert.

Le Régime et la status des Etranger en Egypt. Tom 15. Cairo, 1929.

Lammens, Henri.

Petite histoire de Syrie et du Liban. Paris, 1934.

Lane-Pools, Stanley.

(i) **The Art of the Saracens in Egypt.** London, 1888.

(ii) **The Mohammadan Dynasties.** Paris, 1925.

(iii) **Social life in Egypt.** London, 1883.

(iv) **The story of Cairo.** London. 1902.

Lapidus, Ira Marvin.

Muslim Cities in the later Middle Ages. Cambridge, Massachusetts, Harvard Univ. Press, 1967.

Larrivaz, Félix.

Les Saintes Prérégrination de Bernard de Breydenbach (1483). Cairo, 1904.

Lewis, Bernard.

A Handbook of diplomatic and Political Arabic. London, 1947.

Lewis, Bernard, and P.M Holt.

Historians of the Middle East. London, 1962.

Little, Donald Presgrave.

An Introduction to Mamluk Historiography. Wiesbaden, 1970.

Lopez, Robert, and Irving Raymond.

Medieval trade in the Mediterranean World. London, 1955.

Maclear, George Frederick.

A History of Christian Missions during the Middle Ages. London, 1863.

Mas Latrie, J.M.J.L.

(i) **Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes d'Afrique septentrionale au moyen âge.** Paris, 1866; Suppléments, 1872.

(ii) **Tresor de Chronologie, d'Histoire et de Géographie pour l'étude et l'emploi des documents du moyen âge.** Paris, 1889.

Maspero, Jean.

Histoire des Patriarches d'Alexandrie, Ouvrage revu et publié par G. Wiet Paris, 1923.

Muir, Sir William.

(i) **The Caliphate, its rise, decline and fall.** Edinburgh, 1915.

(ii) **The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt.** Amsterdam, 1968.

Somogyi, Joseph de.

A Short History of Oriental trade. Georg Olms: Hildesheim, 1968.

Stubbs, William.

(i) **Lectures on European History.** London, 1904.

(ii) **Seventeen lectures on Medieval and Modern History.** Oxford, 1900.

Encyclopaedias and articles in periodicals.

The Encyclopaedia of Islam. iv vols, First edition, Leiden 1913. Second edition, Leiden 1960- in progress.

Ashtor, E.

(i) «Débat sur l'évolution économique-sociale de l'Égypte à la fin du moyen âge, à propos d'un livre récent», **J.E.S.H.O.**, xii (1969), PP. 102-109.

(ii) «Some unpublished sources for the Bahri period», **Studies in Islamic History and Civilization** (Scripta Hierosolymitana, ix), Jerusalem, 1961, PP. 11-30.

Ayalon, David.

(i) «The Muslim city and the Mamluk military aristocracy», **Proceedings of the Israel Academy of Sciences and Humanities**, ii (1968), PP. 217-259.

- (ii) «Notes on the Furusiyya exercises and games in the Mamluk Sultanate». **Studies in Islamic History and Civilization** (Scripta Hierosolymitana, ix), Jerusalem, 1961. PP. 31-62.
- (iii) «The plague and its effects upon the Mamluk Army», **J.R.A.S.** 1964. PP. 67-73.
- (iv) «The system of payment in Mamluk military society», **J.E.S.H.O.**, i(1958), PP. 37-65.
- (v) «Studies on the structure of the Mamluk army» **B.S.O.A.S.** xv (1953) PP. 203-228, 448-476; xvi (1954), PP. 57-90.
- (vi) «Studies on the transfer of the Abbasid Caliphate from Baghdad to Cairo» **Arabica**, 7 (1960), PP 41-59.
- (vii) «The wafidia in the Mamluk Kingdom», **Islamic Culture**, XXV (1951), PP. 89-104.

Bosworth, C.E.

«Christian and Jewish religious dignitaries in Mamluk Egypt and Syria: Qalqashandi's information on their hierarchy, titulature, and appointment», **I.J.M.E.S.**, iii, (1972), PP. 59-74. 199-216.

Brinner, W.M.

«The murder of Ibn an-Nasu: Social tensions in fourteenth century Damascus», **J.A.O.S.**, lxxii (1957). PP 207-210.

Dols, Michael W.

«Plague in early Islamic history». **J.A.O.S.**, xciv (1974). PP. 371-383.

Fischel, Walter J.

«The spice trade in Mamluk Egypt. A contribution to the economic history of medieval Islam», **J.E.S.H.O.**, i (1958). PP. 157-74.

Goitein, S.D.

«New light on the beginnings of the Karim merchants», **J.E.S.H.O.**, i (1958), PP. 175-184.

Haig, Sir Wolseley.

«Five Questions in the History of the Tughluq Dynasty of Dihli», **J.R.A.S.** (1922), PP. 319-372.

Holt, P.M.

«The Sultanate of al-Mansur Lachin (969-8/1296-9)», **B.S.O.A.S.**, xxxvi (1973). PP. 521-532.

Labidus, I.M.

«The grain economy of Mamluk Egypt», **J.E.S.H.O.**, xii (1969), PP. 1-15.

Perlmann, M.

«Notes on Anti-Christian propaganda in the Mamluk Empire». **B.S.O.A.S.**, X (1940-42), PP. 843-861.

Poliak, A.N.

- (i) «Le caractère colonial de l'état mamelouk dans ses rapports avec la Horde d'or», **Revue des études islamiques**, ix (1935), PP. 231-248.
- (ii) «Some notes on the feudal system of the Mamluks», **J.R.A.S.** (1937), PP. 97-107.

Sauvaget, J.

«Décrets mamelouks de Syrie». **B.E.O.** ii (1932), PP 1-52; iii (1933), PP. 1-29; xii (1947-8), PP. 5-60.

Stern, S.M.

«Petitions from the Mamluk period». **B.S.O.A.S.**, xxix (1966), PP. 233-76.

Vermeulen, U.

«Some remarks on rescript and Nasir Muhammad B. Qalaun on the abolition of taxes and the Nusaryis (Mamlaka of Tripoli), 717-1317», **Orientalia Lovaniensia periodica**, i (1970), PP. 195-201.

Wansbrough, J.

«Venice and Florence in the Mamluk commercial privileges», **B.S.O.A.S.**, xxviii (1965), PP. 483-523.

Wiet, G.

- (i) «Le relations égypto-abyssines sous les Sultans Mamlouks», **Bulletin De la Société D'Archéologie Copte**, iv (Cairo, 1938), PP. 115-140.
- (ii) «Un réfugié Mamlouk à la cour mongole de Perse», **Mélanges D'orientalism offerts a Henri Massé** (Téhéran, 1963), PP. 388-404.
- (iii) «Les marchands d'épices sous les Sultans mamlouks», **Cahiers d'histoire Egyptienne**, vii (1955), PP. 81-147.

**RELATIONS BETWEEN THE MAMLUK STATE
AND THE QAFJĀQ MONGOLS STATE
(658-741 A.H. — 1260-1341 A.D.)**

ABSTRACT

Historical studies which deal with the history of the Mamluk Sultanate in Syria and Egypt usually follow up the relations between the Mongols of Persia and Iraq on the one hand and the Mamluks on the other. This paper studies the relations between the Mamluk and another bloc of the Mongols namely, the Qafjaq Mongols or the Golden Horde who settled in the north and east of the Black Sea. This paper points out that when this branch of the Mongols was converted to Islam and thus became Muslim, these Mongols found themselves facing bitter and extreme enmity from the Mongols of Persia and Iraq. This led to the rise of some sort of friendly relations and alliance between the Mamluk Sultanate (in Egypt and Syria) and the Qafjāq Mongols in order to face the common enemy — i.e. the Mongols of Persia.

This paper traces the various ties between the Qafjāq Mongol State and the Mamluk Sultans. These ties took the form of intermarriages, diplomatic missions and delegations, and agreements. The most active period of these mutual relations was during the reign of Mamluk Al-Zāhir Baybars and of the Sultans of the Qalawun's dynasty, especially Al-Sultan al-Nāṣir Muḥammad Ibn Qalawun.

This study is based on information provided by the Annals and other modern sources. It throws some light on the history of the Middle East between the Middle of the thirteenth century and the middle of the fourteenth century A.D.

**ANNALS OF THE FACULTY OF ARTS
KUWAIT UNIVERSITY
RULES OF PUBLICATION**

1. The Annals of the Faculty of Arts at Kuwait University publishes original researches and studies made by present or previous staff of the Faculty of Arts at Kuwait University, in all the fields of the humanities and social sciences. The Editor may accept for publication papers submitted by other contributors.
2. Researches or Studies should be written in either Arabic or English. Each should not be less than 40 pages (18000 words) other than the footnotes and the bibliography.
3. The contributors will please observe the following :
 - A. The arrangement of the text, footnotes, references, documentation and bibliography should follow accepted scientific rules.
 - B. Researches or Studies submitted to the Annals should not have been published elsewhere before.
 - C. Each paper should have a preface of about 200 words.
 - D. Three copies of the paper should be sent to the Annals. These copies must be accompanied with a one-page abstract in both Arabic and English.
 - E. The cover page should have the following information : title of paper, name of author and the name of the academic institution he is affiliated with. On a separate sheet the author should give more information about himself, his career, his major works, his department or institution, and especially his full address.
4. Researches or Studies should be addressed to :

Editor
The Annals of the Faculty of Arts
Faculty of Arts – Kuwait University
P. O. Box : 26585 Safat – KUWAIT.
5. Researches or Studies received shall be confidentially sent to one or two specialised readers chosen by the editor, preferably from those outside Kuwait. If the readers' evaluations differ, the research shall be sent to a third reader, if the editor deems this necessary.
6. Authors submitting papers for publication in the Annals will be sent acknowledgement to this effect from the editor within a week after he receives their papers. The final decision as to whether their papers will or not be published will be conveyed to the authors within six months.
7. The editor will inform the authors of the final evaluation of their papers according to the following procedures :
 - A. Authors of publishable papers will be informed by the editor that their papers shall be published. Authors will also be notified of the date of publication.
 - B. Papers evaluated as publishable only after certain modifications and additions are complied with, will be returned to their authors who will make the required modifications and addition and final make them for publication.
 - C. Papers deemed unacceptable for publication will be returned to their authors who should not expect reasons for the refusal of their papers.
 - D. Fifty copies of the published paper will be given to the author.
8. Papers published in the Annals may be reprinted, and in such cases reference should be made to the Annals as the original publisher.

ANNALS OF THE COLLEGE OF ARTS

Issued by the College of Arts, Kuwait University

Volume No. 2, 1981

**EIGHTH MONOGRAPH
IN HISTORY**

**RELATIONS BETWEEN THE MAMLUK STATE
AND THE QAFJAG MONGOLS STATE**

(658-741 A.H. — 1260-1341 A.D.)

Dr. Hayat Nassir Al-Hajji

Department of History - Kuwait University